حكايات شارعنا...

وشوارع أخرى!

تأليف: **تامر موسى**

إهداء

إلى أمي التي احتملتني صغيراً...

وإلى زوجتي التي تحملتني كبيراً...

الإسكندرية كانت عروس المدن ومركز تجارة العالم ورمز حضارته في عهد البطالمة، وكان يسكنها حوالي ستمائة ألف نسمة، وفي عهد الرومان كانت المدينة الثانية في العالم، إلا أن مكانتها أخذت في التدهور خاصة بعد الفتح الإسلامي لمصر وإنشاء مدينة الفسطاط كعاصمة لها، إلى درجة أنه عند مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر كانت قد تحولت إلى مدينة صغيرة لا يزيد عدد سكانها عن ثمانية آلاف نسمة، عمرانها متهدم وبيوتها أشبه ببيوت القرى وشوراعها ضيقة كثيرة التعاريج ومعظم سكانها فقراء ولم يبق من الإسكندرية القديمة سوى الاسم والأطلال!

إلى أن جاءت فترة حكم محمد علي الذي أعاد الاهتمام بالمدينة وحفر ترعة المحمودية التي كان لها أكبر الأثر في إعادة إعمارها بالإضافة إلى بعض المشروعات الأخرى مثل ترسانة الإسكندرية.

ومع سماح محمد علي للأجانب بالقدوم إلى مصر والتجارة فيها بدأ منحنى الازدهار في الصعود بشدة حيث تحولت المدينة إلى مركز حضاري وتجاري لدرجة أنه في عام ١٨٥٥ كان بها حوالي ١٣ قنصلية أجنبية بالإضافة إلى العديد من الفنادق والمطاعم والمقاهي والمستشفيات الأجنبية ومع حكم الخديوي إسماعيل انتشرت الأحياء الفخمة ومنحت الحكومة عام ١٨٦٥ شركة ليبون وشركاه امتياز إنارة الإسكندرية وضواحيها وأنشئت بها أول شبكة مجاري في مصر عام ١٨٧٨، وسيرت فيها أول خدمة ترام عبارة عن قطار من أربع عجلات تجرها الخيول من الأسكندرية إلى محطة بولكلي الحالية عن طريق جامع سيدي جابر، ثم ما لبث أن تم استبدال الخيول بالقاطرة البخارية.

أما كامب شيزار والإبراهيمية هما النكهة اليونانية للأسكندرية، مفيش بينهما فواصل محددة، لكن ممكن نعتبر سوق شيديا هو الحد الفاصل بين المنطقتين.

وعن أصل الإبراهيمية يقال: إنها في الأساس كانت قطعة أرض مملوكة للأمير إبراهيم ابن الأمير أحمد رفعت ابن إبراهيم باشا ابن محمد علي، أُنشئ الحي منذ زمن بعيد، غالبًا في القرن التاسع عشر على التخطيط اليوناني القديم، فشوارعه وحاراته ضيقة، وعرضها مناسب لعربات الخيول، كما أن شوارعه متعامدة، ويقع بجواره توأمه حي كامب شيزار، وبالفرنسيةCamp de Cesar أي معسكر القيصر، حيث يُعتقد أن القائد الروماني يوليوس قيصر قد عسكر بجنوده في هذه المنطقة عندما جاء إلى الإسكندرية في عام ٤٨ قبل الميلاد؛ ليفصل في النزاع بين كليوباترا وأخيها بطليموس على حكم مصر، وحيث إن هذه المنطقة كانت وقتذاك خارج حدود المدينة فقد ترك قواته بها، وفي مطلع القرن العشرين، ومع توافد الأوروبيين في موجات هجرة جماعية إلى مصر سعيًا وراء فرصة أفضل في الحياة، وحيث كانت مصر أرضًا خصبة لمن يسعون وراء تكوين الثروات، وأيضًا من يسعون للعيش في حياة كريمة، فقد استوطن العديد من الأوروبيين منطقتي كامب شيزار والإبراهيمية وتركوا بالفعل بصماتهم المعمارية والثقافية على هاتين المنطقتين، الإبراهيمية وكامب شيزار في الواقع حيان سكندريان مزدحمان ليلًا ونهارًا، سكنتهما الطبقة المتوسطة من الجاليات اليونانية، والإيطالية، والأرمنية، والفرنسية،... وما زال بعضهم لا يقوى على مفارقتهما، وكان يطلق على الإبراهيمية اسم (كوكينيا)،

أي (الحـي الأحمـر)، وهـو نفـس اسـم الحـي المماثـل في اليونـان، الخـاص بالطبقـة العاملـة، كانـت أغلـب المبـاني عبـارة عـن فيـلات لأجانـب إيطاليين وأرمـن تفـوح منهـا رائحـة الفـل والياسـمين،

ومـن أشـهر الشـوارع: شـارع لاجيتيـه ،(LaGaité) أي شـارع البهجـة وقـد كان بالفعـل شـارع البهجـة، حيـث كان فيـه مـسرح لونـا بـارك وسـينما لاجيتيـه، وكان ماليكيهـما يونانيـين، وكانـت سـينما كـبرى فيهـا أكـثر مـن ألـف مقعـد، و١١ (لـوج)، كذلـك في الشـارع مطعـم (باناجـوس) الشـهير، وأيضًـا اسـتوديوهات تصويـر كثـيرة يديرهـا إيطاليـون وأرمـن وفرنسـيون، وعـلى مقربـة منهـا كانـت توجـد سـينما أوديـون المملوكـة أيضًـا ليونانيـين، وكان مالكهـا يقـف عـلى بابهـا لينظـم دخـول الزبائـن، وعندما كنا نشاكسـه ونحـن صغـار فنحـاول دخـول السـينما قبـل انتهـاء الحفلـة السـابقة، كان يقـول لنـا بلكنتـه اليونانيـة: لسـه يـا خبيبـي خفلـة سـتة مـوش خـلاص.

ومن العلامات الشـهيرة أيضًا سـوق شـيديا، أشـهر أسـواق الإسـكندرية، ولقـد ذكـرت المؤلفـة السـويسرية «إسـترهارتمان» هـذا السـوق في كتابهـا «حيـاتي في مـصر - مذكـرات فتـاة سـويسرية عاشـت في الإسـكندرية-»، في الفـترة مـا بـين (١٩٣٤ - ١٩٥٠) قائلـة: «كنـا نعيـش في الإسـكندرية في الأربعينيـات مـن القـرن العشرين، وكنت أذهـب كثيرًا إلى سـوق الإبراهيمية (سـوق شـيديا حاليًـا)، وفي حـي السـوق كان يسـكن مواطنـون مـن بلـدان البحـر المتوسـط في منـازل تتكـون مـن طابـق أو طابقـين، وكان مـن بـين هـؤلاء - بالإضافـة إلى المصريـين- اليهـود والشـوام (السـوريون، واللبنانيـون) اليونانيـون، والمالطيـون، والأرمـن، والإيطاليـون، وكثـيرون مـن بلـدان البحـر المتوسـط. وبينـما كان صـوت المغنـي الفرنـسي (تينـوروس) ينبعـث مـن

إحدى النوافذ مرددًا أشهر أغانيه، كان هناك بعض الفتيات يقفن أمام منازل قديمة، ويتبادلن الشتائم باللغة العربية أو اليونانية أو الإيطالية، في حين كانت إحدى بنات الشام تقف على مقربة منهن، وقد فهمت كل حديثهن، وأخذت تضحك من قلبها.

أما بلاج (شاطئ) الإبراهيمية وبلاج كامب شيزار اللذان اختفيا بعد توسعات الكورنيش، فقد كان معظم روادهما من الأجانب؛ لأن سكان المنطقة كانوا أجانب، ولذا كان الزائر يسمع اللغات اليونانية، والفرنسية، والإيطالية، والأرمنية، أما المصريون الذين يرتادون تلك البلاجات فكانوا إما من عائلات مختلطة، أو من يعملون مع الأجانب، أو من المثقفين.

ومن العلامات المميزة أيضًا فرن (فينو) كان اسمه (فورنوس ذي ميثرا) على اسم الآلهة الإغريقية الأسطورية الـ(ميترا)، وحتى الآن يحافظ الفرن على العادات والتقاليد اليونانية. أما الـ(فينيكيا) وهي حلويات رأس السنة، فاشتهر بها الحلواني (خاموس).

وأغلب شوارع كامب شيزار تم إطلاق عليها أسماء أفرع نهر النيل القديمة، فشارعنا (كانوب) نسبة إلى الفرع الكانوبي أحد أفرع النيل السبعة قديمًا، والذي كان يبدأ من رأس الدلتا عند جزيرة الوراق وينتهي في بلدة كانوب وهي أبي قير حاليًا، وأيضًا شارع بيلوز (لاجيتيه) نسبة إلى الفرع البيلوزي للنيل الذي ينتهي عند بلدة بيلوز (بورسعيد حاليًا).

وسوق شيديا نسبة إلى أول ترعة كانت تنقل مياه النيل إلى الأسكندرية عند تأسيسها حيث كان منبعها قرية شيديا (النشو البحري حاليًا) قرب كفر الدوار.

أما شارع بولبتين فهو نسبة إلى الفرع البولبتيني للنيل والذي لم يكن له وجود من قبل حينما زار هيرودت مصر عام ٤٥٠ قبل الميلاد، حيث لم يكن سوى ترعة صغيرة حفرتها أيدي الناس ولكن لأنه أكثر انحدارًا واستقامة من الفرع الكانوبي فقد اندثر الفرع الكانوبي وبقي الفرع البولبتيني وتحول اسمه ليكون (فرع رشيد)!

وقد عاصرنا اليونانيين وهم يعملون في بعض المهن البسيطة مثل: البقال، والميكانيكي، ولا زلت أذكر أنه في يوم من الأيام كان من يقوم بتلميع الأحذية يوناني، وتضم المقابر اليونانية الآن مقابر أشهر الشخصيات اليونانية التي عاشت بالإسكندرية وأسهمت في نموها وبناء ثقافتها مثل: الشاعر اليوناني «قسطنطين كفافيس»، و«كورسي كاهو» الذي بنى المستشفى اليوناني قبل أن يتحول إلى مستشفى جمال عبد الناصر، و«أنطونياديس» الذي أسس حديقة أنطونياديس، وكانت مملوكة له، ورجل الأعمال اليوناني الشهير آنذاك «أسطاسي» والذي كان يعد أحد أهم رجال الأعمال حينها، ورجل الأعمال اليوناني أيضًا «أوفير وف»، بالإضافة إلى قبر «ميخاليديس» أشهر محامي يوناني عاش في مصر،

وتظل كامب شيزار والإبراهيمية، أجمل وأحلى مناطق الإسكندرية، كل الطوائف والطبقات، المسلم، والمسيحي، واليهودي، ربما لأنها المكان الذي تربينا فيه وبالتالي فأنا من المتحيزين إليها، وربما لأنها بالفعل أفضل مناطق الإسكندرية بما تحمله من عبق الحضارات المختلفة التي مرت بها وكانت شاهدة عليها، وبتأثير الأجناس المختلفة التي عشقت هذه المنطقة وارتبطت بها، وشكلت جزءًا لا يتجزأ من وجدانها.

في هذا الكتاب سوف نستعرض الإسكندرية وكامب شيزار في حقبة

السـبعينيات والثمانينـات مـن القـرن المـاضي مـن خـلال بعـض الأماكـن، والشـوارع، والشـخصيات التـي عاصرتهـا، ومـن خـلال مواقـف مختلفـة نحـاول فيهـا أن نلقـي الضـوء عـلى ذكريـات الزمـن الجميـل الـذي عشـنا فيـه ولا نـزال إلى الآن نجـتر ذكرياتـه الجميلـة.

الحكاية الأولي

الأميرة ديانا في سوق شيديا

في الأساس كان سوق شيديا عبارة عن شارع طويل تصطف على جانبيه محلات نظيفة تبيع أصناف الطعام، والخضروات، والفاكهة، واللحوم، والبقالة، وأغلبية مالكيها وعمالها من اليونانيين والشوام، ولما كثرت الحركة التجارية في هذا الشارع بدأ توافد الباعة من أولاد البلد، وفي البداية كانوا يستأذنون من أصحاب المحلات أن يفترشوا الأرض أمام محلاتهم بشرط محافظتهم على نظافة المكان، والنظام العام، وبالفعل كان الملاك يسمحون لهم، وكان قرب نهاية الشارع من ناحية الترام قطعة أرض فضاء ارتأت الدولة أن تقيم عليها دكاكين وتبيعها لصغار التجار لكي يمارسوا نشاطهم بحرية، وحتى يفسحوا الطريق العام ولا يفترشوا أمام المحلات، ومع هجرة الأجانب من مصر بدؤوا يبيعون محلاتهم وشققهم لأولاد البلد، فكنت تجد التاجر اليوناني وهو يعرض شقته للبيع فيقول: شقة فيها كل الفرش وثلاجة تشتغل بالثلج بـ ميتين جني.

« Guinea» والجني كما يسميه الإسكندرانية، هو عملة إنجلترا التي كانت متداولة،

وما زال الإسكندرانية يحافظون على هذا الاسم، المهم غادر الأجانب سوق شيديا وتركوه للمصريين الذين سرعان ما غادروا هم أيضًا الدكاكين التي خصصتها لهم الحكومة، واستخدموها كمخزن للبضاعة، وعادوا لافتراش السوق من جديد، ولكن مع عدم الحفاظ على نظافته هذه المرة!

والسوق مليء بالشخصيات الغريبة والمميزة، ولكن أشدهم طرافة كان بائع خضروات متجول اسمه (بكاليمو)، وهو في السوق منذ كان طفلًا صغيرًا تراه ينادي على بضاعته من البقدونس، والجرجير، والنعناع بلسان ثقيل تظن أن به أثر سكر بيّن، ولكنه في الحقيقة يعاني من خلل ما، وكان يبدع في النداء على بضاعته فيقول مثلًا:

تعالى كل جرجير من اللي كلت منه الأميرة ديانا!

ومرة يقول: تعالى كل نعناع من اللي اشترت منه إلهام علوي وليلى شاهين، وهو يقصد إلهام شاهين وليلى علوي.وكان في السوق قديمًا يهودي ثارت حوله الكثير من الأقاويل، حيث كان كل البقالين يبيعون كيلو السكر بعشرة قروش، بينما يبيعه هو بسعر التكلفة تسعة قروش فقط! مما أثار غيرة المنافسين فكانوا يطلقون حوله الشائعات من أنه يغش في الميزان، أو أنه يتاجر في الممنوعات، وقبل رحيله عن السوق باح لهم بسره العظيم، فقال إن الزبائن عندما يأتون إليه لشراء السكر فإنهم يشترون أيضًا أرز ومكرونة وشاي فتزيد حركة تجارته، وهو بهذا السعر المنخفض يستطيع أن يبيع ما يعادل أربع أجولة سكر يوميًا ويبيع الجوال الفارغ بـ خمسة وعشرين قرشًا فيحصل على مكسب يومي جنيهًا كاملًا.

كارفور كان أصله من سوق شيديا!

الحكاية الثانية

المتشرودن الصغار

شلتنا كانت شلة كبيرة جدًا، أو بمعنى أصح عصابة، وكلنا من أبناء الطبقة المتوسطة، فالآباء والأمهات إما مدرسون، أو موظفون، أو أصحاب أعمال صغيرة، ولم تكن هناك تفاوتات طبقية حادة تضفي ظلالها على علاقات الطفولة البريئة بين أعضاء الشلة، وكانت المتع البريئة كلها متاحة، والشارع هو مسرحها الأساسي، فهو ملعب كرة القدم المعتمد، وهو مكان السمر بالليل حيث نتوقف أمام بوابة عمارة أحدنا، أو على قمة الشارع لكي نستكمل السهرة حتى مطلع الفجر، وكما كانت كامب شيزار تجمع في شوارعها كل الفئات، كذلك كانت شلتنا ففينا الفلاح، والصعيدي، والإسكندراني القح، واليونانيون الذين كانوا مصريين أكثر منا، لدرجة أن أحدهم سافر اليونان لأول مرة وهو في الثامنة عشر من عمره، وعندما عاد وقد أصابته صدمة حضارية أخذ يروي لنا وهو في قمة الانفعال كيف أنه رأى شابًا يحتضن فتاة في الأتوبيس!

وكان كل يوم فيه فكرة جديدة أو اختراع نشغل به الوقت،

كان وجود تلفون في أحد المنازل هو من علامات التميز، والتي يتباهى بها صاحب التلفون بينما يعاني بعد ذلك أشد المعاناة من الاتصالات المتتالية التي لا تخصه بل تكون لأحد الجيران الذين قد يكونوا على بُعد سبع عمارات من عمارته ولكنهم يوزعون رقم تليفون هذا الجار نظرًا لأنه الوحيد الذي يملك تلفون على المدى

القريب من سكنه، وأذكر أننا كنا قد تقدمنا بطلب لتركيب التلفون في منزلنا في عام ١٩٧٠، وحصلنا عليه في عام ١٩٨٥ أي بعد ١٥ سنة كاملة! وللأسف لم يكن جهاز التلفون ذو القرص المعدني والشكل المهيب الذي يظهر في أفلام الأبيض والأسود، والذي كان منتشرًا بألوانه المميزة: الأسود والأحمر والأخضر، ولكن التلفون الذي حصلنا عليه هو التلفون الأريكسون الرمادي والذي انتشر في كل بيوت مصر، مع الطفرة الهائلة التي شهدها هذا القطاع في مطلع ثمانينيات القرن الماضي، وما صاحبها من إمكانية إجراء اتصال مباشر من الإسكندرية إلى أي محافظة أخرى دون أن تضطر لأن تتصل بالسنترال وتتطلب منهم تحويل مكالمة مباشرة إليك.

وكانت هوايتنا الرئيسة أن نجتمع في منزل أحد الأصدقاء صاحب التلفون الوحيد في شلتنا، وننتقي رقم تلفون عشوائي من الدليل ثم نتصل به فإذا ردت علينا سيدة نسألها بكل براءة

: بابا موجود يا طنط؟

ترد: بابا مين يا حبيبي؟

فنذكر لها اسم صاحب التلفون المذكور في دليل التلفون، فتصرخ السيدة الملتاعة ونغلق نحن الخط.

ومرة قررنا الذهاب إلى المولد الموجود في رحاب مسجد أبو العباس، وبعد أن ركبنا المراجيح ولعبنا لعبة النشان، وجدنا أحدهم يقف على باب خيمة وهو ينادي على المتفرجين لمشاهدة العجب العجاب، بقرة ذات رأسين أو أنثى ليس لها جسم، أو فلان الذي سوف يطير أمامنا في الهواء، وغيرها مما يلهب عقول الصغار، وكان ينهي

فقرتـه الإعلانيـة وهـو يقـول: ولـو دخلـت الخيمـة ومالقيتـش كل الـلي أنـا قلـت عليـه ومـا جيتـش تاخـد فلوسـك تبقـى مـش راجـل.

ولمـا دخلنـا الخيمـة وبالفعـل لم نجـد مـا قالـه بالخـارج، ذهبنـا إليـه لنسـترد قـروش التذكـرة فنهرنـا قائـلًا: يالـه يـالا انـت وهـو مـن هنـا.

فقمنا بقذفه بالطوب وانطلقنا مسرعين.

وكان زعيـم العصابـة يكبرنـا بعامـين، وكان بيتـه الـذي يخلـو بالنهـار لذهـاب والديـه إلى العمـل هـو مقـر قيـادة العصابـة، وفيـه يتـم التخطيـط لكافـة عملياتنـا الكـبرى، وكان زعيـم العصابـة هـذا لا يحظى بالثقـة الكافية مـن أعضـاء العصابـة لدرجـة أنـه ذات مـرة وكانـت الموضـة السـائدة وقتهـا هـي شراء ألبـوم لنجـوم كـرة القـدم، وملـؤه بصورهـم، وكان ثمـن هـذا الألبـوم خمسـة وثلاثـين قرشًـا، أراد أحـد أعضـاء الشـلة شراءه فلـم يجـده في محـلات كامـب شـيزار، فاقـترح عليـه زعيـم العصابـة أن يشـتريه لـه مـن أحـد المحـلات المجـاورة لمدرسـته حيـث يتوفـر بهـا هـذا الألبـوم، وكانـت المعضلـة كيـف يسـتأمن زعيـم العصابـة عـلى هـذا المبلـغ الرهيـب والـذي مـن الممكـن أن يطمـع فيـه فـلا يعيـده إليـه ولا يشـتري الألبـوم أصـلًا، وأخـيرًا اهتـدى صاحبنـا إلى أن يسـتكتب زعيـم العصابـة إيصـال أمانـة بخمسـة ثلاثـين قرشًـا، ضمانًـا لإحضـار الألبـوم.

وكان لخيـال هـذا الزعيـم الجامـح أكـبر الأثـر في خوضنـا لتجـارب أكـبر مـن سـننا، ولم نكـن لنخوضهـا لـولا وجـوده بيننا، فكنـا نذهـب إلى المعمورة وننفـق كل قروشـنا القليلـة في الملاهـي، ثـم نعـود إلى كامـب شـيزار سـيرًا عـلى الأقـدام لمسـافة تقـترب مـن السـتة عـشر كيلـو مـترًا دون خـوف أو جـزع، ونحـن أطفـال لم نتجـاوز العـاشرة.

وكان يقنعنا بأي شيء يريد إقناعنا به، أقنعنا مرة بتدخين السجائر، فدخنتها لأول مرة وأنا دون السادسة، ولكن لم ترق لي فتوقفت على الفور.ومع الأيام تفرقت شلتنا والتي لم تكن لتفترق سوي ساعات النوم، فلم يعد يرى أحدنا أحدًا، وفرقتنا لقمة العيش.

الحكاية الثالثة

بعشرة صاغ بيض مشروخ

عم كامل بتاع البيض:

صعيدي، قبطي، هادئ الملامح، أصلع الرأس، أهم ما يميزه شاربه الكث وسماحته الشديدة، ذو عينين واسعتين، وسوالف طويلة، وله دكان واسع بجوار قهوة عبد العال على قمة الشارع يبيع فيه البيض، ويزدان الدكان بمرايات عريضة، كنا نستمتع بالوقوف أمامها وننظر لصورتنا فيها ونحن صغار، وفي نهاية الدكان هناك فاصل صغير يقسم الدكان إلى قسمين، بداخل القسم الثاني يوجد معمله الخاص، والذي به أول جهاز إشاعة رأيته في حياتي، عبارة عن صندوق خشبي بداخله لمبة صفراء، يضع أمامها البيضة ليعرف إن كان بداخلها كتكوت أم لا، ويفرز البيض السليم عن البيض المشروخ، كنا نذهب إليه صغارًا لنشتري منه البيض ونثير جلبة شديدة في الدكان فلا ينهرنا، وتأتي إليه السيدات ليشترين البيض ويعترضن على البيض الصغير، ويرفضن إلا أن يعطيهن الكبير منه، فلا يسأم ولا يعترض ولا يتعصب، ويلبي لهن ما أردن عن طيب خاطر، وإذا أرادت إحداهن أن تصنع كيكة أوعجة إسكندراني ترسل إليه ابنها بطبق فاضي ويقول له: (بعشرة صاغ بيض مشروخ ياعم كامل)، فيأخذ منه الطبق ويملؤه بالبيض فيطلب الولد أن يضيف بيضات أخرى فيجيبه راضيًا، ثم يعترض الولد على إحدى البيضات بأنها مشروخة أكثر من اللازم، وكأنها سوف

تستخدم في الكيكة وهي سليمة، ولكن الولد يعترض اتقاء لعقاب أمه أو تأنيبها له، إذا عاد لها بمثل هذه البيضة التي تعدت مرحلة الشرخ إلى مرحلة الكسر، فلا يجادله عم كامل ويستبدل له البيضة راضيًا، ثم ينصرف ويشيعه عم كامل بنظرته الوادعة.

ظل مثالًا للأمانة، والتاجر الأمين، مما شجع الناس على استثمار نقودهم القليلة معه، وبالفعل توسع في تجارة البيض وتوريده إلى تجار آخرين، ثم إضافة بعض السلع الأخرى مثل الزيتون وعسل النحل، وبعض منتجات الأديرة التي كان يتعامل معها، وكبرت تجارته وتنامت، وكبرت معها نظرات الحسد، وأصبح عم كامل مثالًا تلوكه ألسنة الحاقدين والحاسدين، ويرددون كالببغاوات: لعبت معاه يا عم، شوف كان إيه وبقى إيه، وطبعًا كانت النهاية المحتومة، ويموت عم كامل في السجن وهو لم يتجاوز الخمسين من عمره، ويظل الدكان مغلقًا حتى الآن، والمرايات العريضة تنعي صاحبها.

الحكايةالرابعة
فيه شاخورة في الجامعياااااااة

إذا سُمع هذا النداء فعلى الجميع أن يُلبي، حتى لو كنت طبيبًا جراحًا وتحت يديك مريض مفتوح الصدر فعليك أن تتركه لقدره وتلحق بالجمعية الاستهلاكية؛ لكي تنال نصيبك من خيرات الله، وربما أيضًا يلحق بك المريض لينال نصيبه قبل أن يموت!

كانت مصر لا تزال تعاني آثار الحروب والاقتصاد المنهار، وكانت السلع شحيحة ونادرة، وأزماتها متكررة، فتجد اليوم أزمة في السكر؛ فتضطر الأسرة لاستخدام (كراملة كورونا) الشهيرة لتحلية الشاي، ومرة أزمة في الأرز، ومرة أخرى أزمة في المكرونة، حتى الكبريت وملح الطعام، ومرات كثيرة أزمة في صابون الغسيل، أو صابون الوجه الشهير (م ١٢) فنضطر لتصنيعه في المنزل، وتطبيق ما تعلمناه في حصة العلوم.

وعلى جانب آخر كانت بطاقات التموين هي حصن المواطن الحصين، فمن خلالها يحصل على حصة شهرية من السكر، والزيت، والمكرونة، وكوبونات الجاز التي يتوجه بها إلى محلات مختصة بتوزيع حصص الجاز الذي يستخدم في إشعال وابور الجاز الشهير، ولمبة الجاز التي هي الملجأ والملاذ إذا انقطع التيار الكهربائي، وكثيرًا ما يحدث خاصة في فصل الشتاء، وفي علاقة فشل أكبر علماء الفيزياء في اكتشافها وتبرير سبب انقطاع الكهرباء إذا نزل المطر، وبعض أهل الإسكندرية الأصليين كانوا يستخدمون لمبة الجاز في تدميس الفول؛ حيث يقومون

بإشعال اللمبة وتعليقها على الحائط، وتعليق دماسة الفول فوقها حتى يصل اللهب من اللمبة إلى الدمّاسة، ويتم تدميس الفول على مهل، ومن خلال بطاقة التموين أيضًا فإن لك نصيبًا في أي سلعة أخرى تقوم الحكومة بتوريدها للمجمعات الاستهلاكية من السلع التي استوردتها بشكل مباشر، أو تحصلت عليها من المعونة الأمريكية التي كانت في بدايات عهدها في ذلك الوقت، فترى الفراخ الأمريكية المكتنزة والمغلفة بذلك الغلاف الأبيض الشهير، المُزين بصورة ليدين يتصافحان يمثلان يد الرئيس السادات والرئيس كارتر، وهو الملصق الذي طال كافة المنتجات التي صدرتها أمريكا إلى مصر تحت مظلة المعونة، بدءًا من أتوبيسات كارتر الشهيرة، ومرورًا بالفراخ، والسمنة، والجبنة الأمريكية، وانتهاءً بسمك الماكريل والهورس ماكريل اللذين اصطُلح على تسميتهما الشاخورة والبلاميطة، وللأمانة كانت الأسعار شديدة الرخص، فكانت كرة الجبنة الحمراء ماركة الديك كاملة، والتي تزن حوالي اثنين كيلو وربع يبلغ ثمنها حوالي ثلاثة جنيهات، وعندما ارتفعت أسعار اللحوم في عام ١٩٨٠ بشكل اعتبره الرئيس السادات (ارتفاعًا جنونيًا) حيث تجاوز سعر كيلو اللحم جنيهًا بالكامل، أصدر السادات قرارًا بوقف ذبح العجول لمدة شهر كامل، ومعاقبة من يخالف ذلك بالحبس وتشميع المحل.ولكن في المقابل كانت النقود شحيحة في أيدي الناس.

وأفرز نظام بطاقات التموين هذا طبقة من المنتفعين كونوا فيما بينهم تنظيمًا سريًا شديد الخصوصية، يتكون صفه الأول من مقاتلين أشداء أقوياء لا يخشون البأس يطلق عليهم (الدلالات)، والدلال أو

الدلالة هم من يقومون باحتلال الصفوف الأولى من طوابير الجمعية، والتنسيق مع الصف الثاني من التنظيم، والذي يتكون من موظفي الجمعية في الحصول على الجانب الأكبر من السلع التي تنزل إلى الجمعية، بالإضافة لقيامهم بمهمة أخرى شديدة الخصوصية، ولا تقل أهمية عن المهمة الأولي ألا وهي التحرش بالمواطنين الذين يتجرءون ويزاحمونهم في طوابير الجمعية، ومحاولة ردعهم عن تكرار هذه الجريمة الشنعاء ومحاولتهم الحصول على حقوقهم التموينية، فيدخل المواطن الشريف الطابور بكامل هيئته، والله وحده يعلم كيف سيخرج منه، وماذا سوف يفقد بداخل هذا الطابور!

وبعد ذلك يأتي الصف الثالث من هذا التنظيم ويضم أصحاب محلات البقالة الذين يشترون حصيلة ما يحصل عليه الدلالون ثم يقومون بإعادة بيعه مرة أخرى للمواطن الذي تجرأ وحاول الحصول عليه من الجمعية بسعر قليل، لكي يحصلوا منه على السعر العادل للسلعة وتحقيق راية العدل في البلاد،

ولم يقتصر نظام البطاقات فقط على الطعام والشراب لكن امتد ليشمل أيضًا الملابس، فكان على قمة شارعنا محل كبير من ثلاثة طوابق يطلق عليه (المتاجر الشعبية) كانت تبيع:الكستور، والدبلان، وتيل نادية، وكافة أنواع الأقمشة والأدوات المنزلية، ثم تطور الأمر وظهر برنامج الكساء الشعبي الذي أتاح للمواطنين فرصة الحصول على الكستور، والبيجامات المقلمة ذات الألون الخضراء والحمراء، والتي كانت تزين كافة مناشر الغسيل في كل الشوارع، وتضفي على الجو شعورًا بالوحدة الوطنية، وأن المواطنين أمام الدولة سواسية كأسنان المشط في لبس البيجامات.

ومثلما كان نداء: (في شاخورة في الجمعية) أو (في فراخ في الجمعية) نداءً سحريًا فإن نداء: (في كستور في المتاجر) كان هو أيضًا نداءً سحريًا كفيلًا بأن يترك المرء ما في يده، ويفارق الخل خليله والحبيب حبيبته، ويسرع ليلحق بنصيبه الشرعي.

ومن المضحكات المبكيات أنه كان للمتاجر الشعبية مخزنان، يقعان في شارعنا أسفل إحدى العمارات، ولما تبدلت الأحوال واستعرت نار الخصخصة، وبيعت الكثير من الشركات ومقراتها فوجئنا بأن المتاجر الشعبية قد بيعت، مثلما تم بيع شركة البيرة والتي كان مصنعها يتوسط الشارع الرئيس بكامب شيزار، حتى أنه سمي باسمها (شارع البيرة)، ولكن المشتري والذي اتضح فيما بعد أنه يهودي هرب إلى الولايات المتحدة، قام ببيع أرض الشركة لشركة المعمورة، التي قامت بإنشاء مجمع سكني مكان المصنع، ونقل المصنع إلى المنطقة الصناعية بالشرقية، أما المتاجر الشعبية فقد قام المشتري بتجديد مقرها الكائن على قمة شارعنا، على أمل أن يفتتح مكانها معرضًا للأجهزة المنزلية وهو مالم يحدث حتى تم هدم العقار بالكامل، بينما نسي الجميع المخزنين اللذين كانت تستأجرهما المتاجر، ولما طال الوقت استصدر صاحب العقار الذي يقع به المخزنان حكمًا بأحقيته في المخزنين، وعند فتحهما وجد مغارة على بابا!

بوتاجازات،

غسالات،

مرواح،

بطاطين،

أطقم صيني،

واللي يلاقي حاجة تبقى بتاعته طبعًا، وكله على حساب صاحب المخل... اللي هو حضرتك على فكرة!

وفي أوقات الأزمات، وكثيرة ما كانت، كان عليك أن تبحث عن سلعتك المنشودة : زيت كانت، أو مكرونة، أو كيس سكر في محلات البقالة، ويتوقف نجاح مهمتك من عدمه على عدة عوامل، أهمها علاقتك الجيدة مع البائع، وما إذا كنت زبونًا دائمًا لديه، يسعى هو أيضًا للحفاظ عليك، أم أنك مجرد زبون طياري جاي تاخد منه غرضك وتتركه يبكي لوعة الخديعة، وفعلتك الدنيئة، وثاني هذه العوامل هو وجود مخزون راكد لدى هذا البقال فيحاول تصريفه على حساب هذه السلعة النادرة، فمثلًا إذا كنت تبحث عن كيس مكرونة ولدى البقال مخزون راكد من مسحوق غسيل (رابسو) فسوف يخبرك بأن عليك أن تأخذ علبتين (رابسو)؛ لكي تحصل على كيس المكرونة المنشود وهكذا، فكنا ندوخ السبع دوخات أثناء رحلة البحث عن السلعة المختفية، ودائمًا ما كنا نغفل عن محل بقالة قريب من شارعنا يملكه عم حسن، وهو رجل طويل القامة، سمح الوجه عال الصوت، يرتدي دائمًا طاقية صوفية صيفًا وشتاءً، وكان رده التقليدي عندما نسأله عن السلعة المفقودة والتي قد بحثنا عنها في كافة أرجاء المعمورة أن يقول لنا في سخرية وكأنه قد اطّلع على الغيب: تلف تلف وفي الآخر تيجي لعمك حسن!

ويُسقط في أيدينا بعد هذه الجملة، حيث نعتقد أنه سوف يمنع عنا ما نطلبه، إلا أنه يعود بكل سماحة فيبيع لنا ما كنا نبحث عنه،

الله يرحمك يا عم حسن.

الحكاية الخامسة

الله يرحم، وسعد حرب لا يرحم

مدرس لغة عربية في بداية العقد الرابع من عمره، التحق بالعمل مدرسًا في إحدى مدارس كامب شيزار بعد أن أمضى زهرة أيام عمره على الجبهة، مثل غالبية أبناء جيله ممن أجبرتهم الحروب ما بين ٦٧ وحتى٧٣ على ألا يفكروا في مستقبلهم مادام العدو جاثمًا على أحلامهم وعلى تراب الوطن، وبعد أن لملمت الحرب أذيالها، تركت بصمتها على نفسيته من هول ما رأى من أشلاء لزملائه قد اختلطت بزيهم العسكري، أو ممن سالت دماؤهم على رمال أبت أن تتشرب هذا الدم وتركته لكي يطارد مدرسنا في يقظته وأحلامه.

جاء إلى المدرسة وقد شابت نفسيته، هزة لم يستطع أن يواريها، فكان سلوكه العنيف مع التلاميذ الصغار هو السمة الغالبة لتصرفاته، ولم تستطع إدارة المدرسة أن تكبح جماح عنفه مع التلاميذ، وكان شعاره إذا أخطأ أحد التلاميذ، واستشعر الصبي فداحة العقاب الذي سينزل به من الأستاذ، وأخذ يتوسل إليه بالرحمة، عندئذٍ يرد عليه وقد استحضر كل تجاربه المريرة على الجبهة: اللهُ يرحم، وسعد حرب لا يرحم!هكذا، وفي جملة واحدة يلخص الأستاذ سعد شخصيته التي لونتها الحروب والمدافع باللون الأحمر، فأضفت على عقابه للتلاميذ طابعًاعنيفًا، لعله كان يود لو أنه قد عاقب به جنديًا يهوديًا فلم يستطع حينها، فتراه تارة يُعلق تلميذًا من أذنيه على السبورة، وتارةً

أخـرى يعلـق تلميـذًا آخـر مـن قدمـه عـلى بـاب الفصـل،إلى أن جـاء يومًـا وقـد استشـاط غضبًـا مـن أحـد التلاميـذ، فقـام برفعـه مـن ذراعيـه وأخرجه مـن نافـذة الفصـل في الـدور الثالـث مهـددًا بإلقائـهِ إلى الخـارج، وعـلى صُراخ الطفـل المسـكين تخـرج إحـدى جـارات المدرسـة وتـرى مـا يحـدث، فتـسرع إلى المدرسـة وهـي تسـتلُ سـكينًا وتقتحـم الفصـل، وتُلقـن الأسـتاذ درس العمـر، ويختفـي بعدهـا، وتطويـه صفحـات الزمـان، فـلا نـراهُ يمـر في شـارعنا، ولا يبقـى منـه أثـر سـوى هـزة طفيفـة أصابـت تلميـذ النافـذة بعـد أن صـار محاميًـا مشـهورًا.

الحكاية السادسة

عندما كان طموحي أن أكون مهندسًا فاسدًا!

كان في كامب شيزار أكثر من مدرسة، منها مدرسة ممفيس، ومدرسة حفني ناصف وهي مدرسة مؤسسة، يعني مبنيه في الأساس بواسطة الدولة لتكون مدرسة وليست فيلا وتم تحويلها لمدرسة مثل مدرسة عبد السلام عارف، أو مدرسة سان جورج ، كانت والدتي -رحمها الله- تعمل بمدرسة حفني ناصف، فكان من الطبيعي أن ألتحق بها، وكانت المدارس الحكومية وقتها تضم في جنباتها كافة أطياف المجتمع، فكنت تجد ابن الضابط، وابنة المستشار، وابن البواب، وابن اللاجئ الفلسطيني، وابنة التاجر الشهير، الكل يحظى بفرصة عادلة في التعليم، والبقاء للمتفوق والأصلح، ومن المفارقات أن المدارس الخاصة كانت الملاذ الآخير للتلاميذ الخائبين، الذين لا يستحقون الحصول على فرصة التعلم في مدارس الحكومة المجانية التي كانت مصروفاتها الدراسية وقتها لا تتجاوز الجنيهين، أيضًا كانت الدروس الخصوصية جُرمًا يستدعي التخفي، فتجد المدرس يتسلل إلى منزل التلميذ، وكلاهما يخفي عن زملائه كونه يُعطي أو يأخذ درسًا خصوصيًا، وأيضًا كانت المدرسة في فترة إجازة الصيف تُقدم أنشطة ثقافية ورياضية للطلاب وأبناء الحي، فكان لدينا نشاط صيفي نمارسه في المدرسة يوميًا، بالإضافة إلى استخدام المدارس كمصايف للمدرسين من أبناء الصعيد وأبناء الريف، فكنت تجدهم يأتون في أفواج أسبوعية لقضاء إجازة الصيف المدرسة، ويفترشون الفصول ويقيمون حفلات السمر في حوش المدرسة، في البداية

التحقت بفصل تحت إشراف صديقة والدتي (أبلة عيشة) وكانت سيدة لطيفة المعشر، ودمها خفيف، وكثيرة الهزار، ومن المفارقات أنها كلما مرت من سوق شيديا تجد كافة البائعين يحيّونها، وتكتشف أنهم جميعًا كانوا من طلابها، ولكن انتهى بهم الحال هنا، ولما التحقت معها بالفصل أرادت أن تجامل والدتي فعينتني سفيرًا فوق العادة!

كلما أرادت طباشير ترسلني لإحضاره، إذا أرادت أن ترسل فلوس الجمعية لزميلتها أرسلتها معي، وإذا أرادت أن تذهب لبعض شئونها خارج الفصل عينتني حارسًا على التلاميذ أكتب أسماء المشاغبين منهم، وكانت النتيجة انهيارًا تامًا في مستواي الدراسي، مما أزعج والدتي التي تصورت أنني على وشك الالتحاق بقائمة الباعة بسوق شيديا، فسارعت باتخاذ إجراءات تصحيحية عاجلة بنقلي إلى فصل زميلة أخرى لها، وهي (أبلة عطيات) وكانت الطامةُ الكبرى!

أبلة عطيات ماتعرفش أبوها،

ابن زميلتها أو ابن الناظرة حتى... حتتعلم يعني حتتعلم.

أول ما تيجي الصبح تسألني سؤال في المنهج.

جاوبت، خير وبركة اقعد،

ماجاوبتش،

كان عندها مسطرة خشبية طويلة، تضرب بها على عظام ظهر اليد بسيف المسطرة عشر ضربات نارية، كفيلة بأن تجعلك تحصل على الدكتوراه لكي تتحاشى هذا العقاب.

وكلما أفرطت في عقابي، كلما زاد كُرهي لها، وتفكيري في إعداد الخطط للانتقام منها حين أكبُر.

وهـداني تفكـيري إلى أن أنسـب طريقـة للانتقـام، هـي أن أتفـوق في دراسـتي حتـى أصبـح مهندسًـا، وأبنـي عـمارة كبـيرة، وأغـش في مواصفاتهـا، ثـم أُسْـكنُها هـي في الـدور الأرضي حتـى تنهـار العـمارة عليهـا ولا تسـتطيع الخـروج مـن تحـت الأنقـاض!

والآن كلـما أتذكـر هـذه الأم الرائعـة، والتـي كانـت تقسـو عـلي إنمـا ليشـتد عـودي، وأشـب رجـلًا صالحًـا متعلـمًا، أدرك أن مـا نعتقـده كرهًـا هـو الحـب عينـه، وكلـما تذكـرت زميلاتهـا الـلاتي علمننـي وقسـون عـليّ وعـلى زمـلائي حتـى تفوقنـا جميعًا.أدعـو اللـه مخلصًـا أن يجعـل مافعلـوه مـن أجـلي ومـن أجـل زمـلائي في ميـزان حسـناتهن، وأن يريهـن مقاعدهـن مـن الجنـة يـا رب العالمـين.

الحكاية السابعة

نور الإسلام

كانت كامب شيزار بلا مسجد جامع حتى أوائل السبعينيات؛ حيث لم يتبق من اليهود الذين كانوا يقطنون كامب شيزار أحد، وأصبح المعبد اليهودي مهجورًا، فقامت وزارة الأوقاف بهدمه وطرح الأرض للبيع، فتنافس عليها رجلان: أحدهما يسعى لإنشاء مسجد، والآخر يسعى لإنشاء كنيسة!

وتبارى الرجلان في رفع السعر حتى وصلا إلى سعر مرتفع للغاية، فقام التاجر الذي يسعى لإنشاء المسجد بعرض الأمر على بعض أصدقائه، وقرروا الاكتتاب، وأسسوا جمعية نور الإسلام، وبالفعل استطاعوا دفع المبلغ الذي طلبته وزارة الأوقاف وفازوا بقطعة الأرض، وحيث إن ما معهم من نقود قد نفد، فقد بدأ نور الإسلام كمُصلّاة بسيطة مفروشة بالحصير ومغطاة بسقف بسيط، كانت تقام فيه الشعائر ثم تطور الأمر وأصبحت تعطى فيه دروس تقوية لأبناء الحي نظير مبلغ زهيد، ثم بدأ إنشاء المسجد الجامع والذي احتوى على مستوصف خيري، ودار للمغتربات، ثم مستشفى ومعامل تحاليل كاملة، وأصبح هو المسجد الجامع لكامب شيزار والإبراهيمية كلها.

علاقتنا بمسجد نور الإسلام علاقة وثيقة فهو بالنسبة لنا البيت الثاني، وكنا نحفظ أركانه وغرفه، وعاصرنا مراحل تطوره، وكنا نساعد خادم المسجد في نظافته وملء القلل بالماء للمصلين، واختبار ميكرفون الصوت، وكنا نعرف المصلين المنتظمين ونلبي لهم احتياجاتهم، فهذا يريد مسندًا

لظهره، وذاك يريد مصحفه، والآخر يريد شربة ماء، في نور الإسلام تعلمنا الصلاة وتعلمنا السلوك، تعلمنا ألّا تتزين للخروج مع الأصدقاء ثم تأتي لتقف بين يدي الله بالبيجامة! تعلمنا أنك إذا لم تتعطر للصلاة فلا شيء بعدها يستحق العطر!

وكان الإمام الراتب للمسجد هو الشيخ صالح -رحمه الله- وكان مدرسًا للغة العربية بإحدى مدارس برج العرب، ويأتي للمسجد ليؤم صلاتي المغرب والعشاء يوم الخميس، ويُلقي درسه الأسبوعي بينهما، ثم يُلقي خطبة الجمعة في اليوم التالي، وباقي أيام الأسبوع كان يُلقي الدرس اليومي إما علماء من الأزهر الشريف، أو علماء وزارة الأوقاف.

ولم يقتصر دور نور الإسلام على الصلاة، بل امتد ليشمل علاج سكان الحي بمقابل زهيد، ثم امتد ليشمل سكان الأحياء المجاورة حتى ذاع صيته وطالت شهرته، وتشعبت خدماته الدينية والدنيوية ليصبح منارة تنير الإسكندرية، في نور الإسلام تعلمنا كيف نستمع إلى القرآن الكريم، وهناك مقولة شهيرة وقديمة أن القرآن الكريم نزل في مكة، وطُبع في اسطنبول، وقُرئ في مصر، وإذا استمعنا بكل حيادية إلى أصوات قُرّاء القرآن فستجد أن قُرّاء مصر يملكون نواصي القراءة، فمنهم قمة الأحكام وهو مولانا الحصري،ومنهم قمة الصوت الجميل وهو مولانا عبد الباسط، ومنهم قمة الفن الرفيع مولانا مصطفى إسماعيل، ومنهم جامع كل ذلك في ائتلاف جميل وهو مولانا محمد رفعت، وإذا كان هؤلاء هم الأكثر شهرة فإن مصر لديها كنز ثمين وثروة لا تنفد من ملوك دولة التلاوة، فتجد ريفها وصعيدها دائمًا ما يرسلون إلينا بأصوت شجية عذبة أمثال عبد العظيم زاهر، ومحمد عبد العزيز حصّان، ومنصور الشامي الدمنهوري، وعلى حجاج

السويسي، وشعبان الصياد، ولا ننسى سيدنا المنشاوي -رحمة الله عليه- وتجد أن القراء المصريين يحترفون التلاوة بالطريقة التحقيقية (التي يتلون بها في المناسبات) وبطريقة التدوير (التي نسمعها في إذاعة القرآن الكريم)، وباستخدام كافة المقامات وفي تناغم يأسر القلوب.

حتى أن ملك المغرب الأسبق محمد الخامس (جد الملك الحالي) لما نفاه الفرنسيون خارج المغرب طلب أن يسمحوا له بالاحتفاظ بإسطوانات عبد الباسط عبد الصمد، هكذا كان قراء القرآن الكريم المصريون يسيطرون على قلوب العالم الإسلامي كله، وعلى الرغم من شعبية قراء الحرم المكي حاليًا، فذلك من وجهة نظري لارتباط تلك الأصوات بالمشاعر المقدسة التي تهفو إليها قلوب المسلمين حول العالم، ولكن إذا استمعت وقارنت الأصوات والطبقات وطول النفس، فإن الكفة لابد وأن تميل لصالح مصر.

بارك الله في ريف مصر وصعيدها وحضرها الذي وهبه المولى، عز وجل، هذه الهبة الربانية من أصوات ذهبية ندر وجودها إلا في مصر. بارك الله في مصر وأهلها وزرعها ونيلها وشعبها وحفظ عليها دينها وقرآنها.

الحكاية الثامنة

نظرية سامي

سامي طفل صغير ضمن أسرة كبيرة، كثيرة العيال، يعمل الكبار منهم في مهن بسيطة، عربجي، جزمجي، فران، والصغار تراهم يهيمون على وجوههم في الشوارع بلا هدف، منتهى طموح سامي هو أن يعود إلى بيته آخر اليوم وقد استطاع أن يحصل على ما يسد رمقه، ويلبي نداء بطنه المستمر، ويسعى إلى أن يفض الصراع اليومي بين ما تراه عينه في السوق من مغريات كثيرة ومتنوعة، وبين ما تستطيع معدته أن تتحصل عليه من بين هذه المغريات.

فينظر إلى أنواع الفاكهة المختلفة، والتي يبدع البائعون في رصها وتلميعها وتزيينها للناظرين، وتراه يتملق للبائع عسى أن يعطيه ثمرة فاسدة أو تكاد، ولا يظفر سوى بأن يطرده البائع شر طرده، فيُعيد الكرّة مع بائعٍ آخر ولا تختلف النتيجة، ثم يأتي إلى قمة المتعة، حيث محل الفراخ المشوية الذي يقع على قمة سوق شيديا، وحيث توجد شواية الفراخ على باب المحل مفتوحة الأبواب،وقد اصطفت بها أسياخ الفراخ المشوية الممتلئة لحمًا، والتي يَقْطُر منها الدُهن على أرضية الشواية، وترى العامل يغمس في هذا المرق اللذيذ أرغفة الخبز الساخن، ثم يضعه على ظهر الفرخة المشوية وسط تشكيلة الخضر وشرائح الطماطم، فيسيل لعاب سامي على هذا المشهد الذي يصاحبه رائحة الشواء القوية، وكأنها الموسيقى التصويرية لأشد مشاهد الإغراء سطوة على قلب هذا الصغير.

وفي يوم من الأيام تشتد الشهوة بسامي فلا يستطيع أن يسيطر على مشاعره، وينقض كالصقر على شواية الفراخ في غفلة من العامل ثم يخطف أكبر فرخة مشوية بيديه وينطلق كالصاروخ، وقبل أن ينتبه العمّال إلى ما حدث يكون قد استقر تحت سيارة من السيارات المتوقفة على بُعد خطوات من المحل، ويلحق به العمال ويبدأون في الصراخ مطالبين إياه بالخروج من تحت السيارة بالتهديد مرة فيقولون: اطلع يا وله وإلا حنكسر دماغك.

وباللطف مرة فيقولون: اطلع يا سامي وحنديك حتة فرخة تاكلها.

عساه أن يستجيب،

وهنا كان على سامي أن يتخذ قرارًا مصيريًا: أيستجيب لهذا الود الزائف والذي قد ينتهي بالغدر؟ ومنذ متى وهم يشفقون عليه ويعطونه ما يسد رمقه؟ لطالما مر عليهم راجيًا منهم أن يفيضوا عليه من غيض ما يملكون وكان ردهم في كل مرة هو الطرد وحتى الضرب!

وماذا لو استجاب لوعودهم وخرج ورد إليهم الغنيمة ثم كان جزاؤه علقة ساخنة؟!

وماذا لو أكلها وخرج إليهم فسيكون ردهم نفس العلقة الساخنة!

إذن في كلتا الحالتين سوف أنال منهم علقة ساخنة، فليكن، على بركة الله.

والتهم سامي الفرخة وتلاقت لأول مرة شهوة عينيه مع شهوة بطنه،

وأسكرته النشوة حتى دمعت عيناه،

وخرج اليهم يترنح من فرط النشوة ولسان عينيه يقول هيا افعلوا بي ما تشاؤون.

هكذا الحياة اغتنمها وعش كما تحب ففي النهاية سوف تموت.

الحكاية التاسعة

محمود المليجي بكسرولة الفول

كانت الإسكندرية بحق هي العاصمة الثانية، وفي الصيف تزدهر الحياة الثقافية والفنية بها، وكانت كامب شيزار تمتلئ بالمسارح وبالفرق المسرحية المختلفة طوال الصيف، فكان يوجد مسرح الريحاني، ومسرح إسماعيل ياسين، ومسرح العبد، بالإضافة إلى مسرح لونابارك، وأيضًا مدرسة «الليسيه» كان لها مسرح خاص يمارس فيه الطلاب الأنشطة الفنية، وأيضًا ملاعب خاصة يمارس فيها الطلاب الرياضة، حيث تتجسد فكرة ربط التعليم بالفن والرياضة، وكون المدرسة هي الحاضنة للمواهب العلمية والفنية والرياضية على حد سواء، وقد قام الفنان محمد صبحي باستئجار هذا المسرح من المدرسة لمدة عشر سنوات، حيث استقرت على خشبته عروض فرقته المسرحية، وكان من الطبيعي أن نلتقي بشكل شبه يومي بالفنانين أثناء ذهابهم إلى المسرح أو عودتهم منه، فمنهم من كان يستأجر شقة خاصة بجوار المسرح مثل محمد نجم الذي كان يستأجر شقة بجوار مسرح العبد الذي يعرض فيه مسرحياته، ومنهم من كانت لديه شقته الدائمة بشارعنا مثل محمد شوقي، ومحمود المليجي الذي كان يسكن في عقار قريب من مسرح إسماعيل ياسين، وكان ينزل إلى الشارع في الصباح بالبيجامة وفي يده كسرولة فارغة ليشتري الفول للإفطار بمنتهى التواضع والبساطة، ويُسلم على الجميع، وكان للفنانين أيضًا أماكن للتجمع لعل أشهرها قهوة حمودة التي تقع في شارع تانيس الموازي للكورنيش،وفي مكان يتوسط المسافة بين المسارح المختلفة، وكان من بين زبائنها

المستديمين سعيد صالح، ويونس شلبي، ومظهر أبو النجا، وعادل إمام في بدايات عرض مسرحية شاهد ماشافش حاجة التي كان يعرضها على مسرح لونابارك بالإبراهيمية، ويأتي كل مساء بسيارته المرسيدس الصفراء التي ظهر بها في فيلم عصابة حمادة وتوتو، ويجلس بجواره ابنه الطفل في ذلك الوقت رامي إمام وهو يغلق زجاج سيارته من كثرة تهافت المعجبين عليه، وكان لمسرح لونابارك أبواب جانبية خشبية، وبها بعض الثقوب التي قمنا بتوسعتها حتى نستطيع متابعة العروض المسرحية على المسرح بجودة عاليه.وكان يسكن في المنزل المجاور لنا أحد أقرباء محمود عبد العزيز، فكان يحضر اليهم بعد العصر، وينادي عليهم من أسفل العمارة وعندما نطل من الشباك لنراه كان يمازحنا ويضحك معنا بأريحية شديدة.

ولعل أكثر مكان استفاد من تواجد الفنانين هو محل ألبان أصبح الآن ذائع الصيت في كامب شيزار، كان الفنانون بعد الانتهاء من عروضهم المسرحية يذهبون إليه لتناول طعام الإفطار، وكان يقوم برص الترابيزات على رصيف شارع بورسعيد، حيث يجلس الفنانون وهم يتناولون إفطارهم من البيض، والجبنة، وعسل النحل، والقشطة، وأخيرًا الجبنة السايحة التي اشتهر بها هذا المحل.

والآن أصبحت الإسكندرية خالية تمامًا من المسارح، التي تحولت إلى عمارات شاهقة، وكافتيريات صاخبة تعكس حالنا الثقافي والفني هذه الأيام.

الحكاية العاشرة

عربية مقابل مليم أحمر!!!

في نهاية شارعنا يوجد مبنى كلية الهندسة، وهو بناء ضخم مهيب على الطراز الفرعوني، ومما يُروى عن قصة بنائه والعهدة على الراوي، أنه حين صدر قرار بإنشاء جامعة فاروق الأول في عام ١٩٤٢، تم رصد مبلغ من المال لإنشاء عدد من الكليات مثل الحقوق والآداب والهندسة، إلا أن المهندس الذي قام بالتنفيذ أنفق الميزانية كلها على إنشاء هذا المبنى البديع، وكان جزاؤه السجن، وخلف المبنى الرئيس للكلية توجد مساحة كبيرة من الأرض غير مُستغلّة، كانت محافظة الإسكندرية تستأجرها من الكلية؛ لتقيم عليها المعرض الصناعي الزراعي الذي يقام سنويًا لكي تعرض فيه مصانع القطاع العام منتجاتها المختلفة لجمهور المصطافين الذين يزورون الإسكندرية كل صيف، وتكون فرصة جيدة لتسويق المنتجات من جهة، وللمصطافين لكي يقضوا وقتًا لطيفًا في المساء من جهة أخرى.

وكان السيرك القومي يستأجر قطعة أرض أخرى مجاورة ليقدم عليها عروضه أيضًا للمصطافين، فكنا نمرُ من أمام هذه الأرض، فنراها متلألئة بالأنوار والزينة، تكاد تنطق بالفرحة وكأنها تشكر زوارها على إيقاظها من بياتها الشتوي، وكان المعرض فرصة عظيمة لنا للترفيه ولقضاء الوقت في التسكع داخل طرقاته، وبما أننا من سكان كامب شيزار ولا يصح أن يقام المعرض على أرضنا وندفع تذكرة! فكنا ندخل

المعـرض يوميًا بالمجـان، حيـث كنـا نتفنـن في التزويـغ وعـدم دفـع خمسـة قـروش كاملـة في تذكـرة الدخـول، وأحيانًـا كنـا نسـتأجر دراجـة وندخـل بهـا المعـرض، وكان المعـرض فسـحة يوميـة ممتعـة؛ فـكل الـشركات والمصانـع تشـارك فيـه بأجنحـةٍ مميـزة تعـرض فيهـا أفضـل منتجاتهـا وبسـعر مميـز، وكان المصطافـون يتوجهـون يوميًـا إلى المعـرض لـشراء مسـتلزماتهم حيـث يعتـبرون هـذه الزيـارة مـن الثوابت المقدسـة للإجـازة في الإسـكندرية، وأيضًا الجهـات الحكوميـة والـشركات كانـت تمنـح موظفيها كوبونـات خصم للشراء مـن المعـرض لتشـجيع المنتجـات المصريـة، وكان جنـاح شركـة «جناكليـس» هـو الوجهـة الأساسـية لـكل الـزوار، فتراهـم وهـم يحملـون كراتـين عنـب جناكليـس المميـز وكأنهـا غنيمـة الحـرب التـي لا يجـوز التفريـط فيهـا، كـما كانـت المنتجـات البلاسـتيكية أحـد أهـم علامـات المعـرض، وإذا كنـت تسـير في أحـد شـوارع كامـب شـيزار ورأيـت أحدهـم يحمـل كروانـة أو طسـتًا بلاسـتيكيًا عـلى رأسـه، فاعلـم أنـه مـن زوار المعرض.ومـن أجنحـة المعـرض الهامـة جنـاح شركـة أدفينـا، التـي كانـت تشـتهر بالعصائـر الطبيعيـة في العلـب الصفيـح، وخاصـة عصـير المانجـو، لكـن أكـثر مـا كان يشـدني في المعـرض جنـاح شركـة النيـل للكبريـت، حيـث كانـت تعـرض أيضًـا ماكيتـات للمنـازل الجاهـزة التـي كانـت تنتجهـا، وكنـت أتجـول في الفيـلات التـي يعرضونهـا في هـذا الجنـاح وأنـا أحلـم باليـوم الـذي أمتلـك فيـه فيـلا مـن إنتـاج شركـة النيـل للكبريـت والمنـازل الجاهـزة.

أمـا المفاجـأة التـي كنـا ننتظرهـا كل يـوم، فهـي المسـابقة التـي يعلنون عنهـا في الإذاعـة الداخليـة للمعـرض، فـكان المذيـع الداخـلي يقـول مثلاً:

مـن يوجـد معـه مليـم أحمـر فسـوف يحصـل عـلى سـيارة هديـة،

ويغلقـون الأبـواب حتـى لا يخـرج أحـد ويُحـضر المليـم.

وطبعًـا لأن الحاجـات الحلـوة مـا بتكملـش، تذكـرت كليـة الهندسـة فجـأة أنهـا في احتيـاج شـديد إلى قطعـة الأرض وقـررت إيقـاف تأجيرهـا للمحافظـة التـي بحثـت عـن مـكان بديـل لإقامـة المعـرض، فتوجهـت إلى أرض صحـراء (مـكان محافظـة الإسـكندرية الجديـدة الآن) وقـررت إقامـة المعـرض هنـاك، وتسـيير خطـوط أتوبيـس منتظمـة وأن يكـون المعـرض طـوال العـام، وبالفعـل أقيـم المعـرض لمـدة سـنتين أو ثلاث ثـم لقلـة الإقبال عليـه توقـف، وإلى الآن لا تـزال أرض المعـرض القديمـة خاليـة، تشـكو لنـا كل يـوم هجـر زوارهـا وظـلام أنوارهـا.

الحكاية الحادية عشر

وليمة بـ ٢ جنيه ونص!

في العيد كانت الفسحة لابد أن تبدأ أو تنتهي بالأكل، وعلى الرغم من أن محل «الوحيد»- من أشهر محلات الفول بالإبراهيمية- هو وجهتنا الأساسية في غير أيام الأعياد، إلا أننا قررنا ذات عيد أن نعيش تجربة جديدة للفول، وكان محل الوحيد قد قام بتعديل سندرة المحل إلى صالة مطعم صغيرة لتقديم أطباق الفول والفلافل، فقررنا خوض التجربة،

ذهبنا إلى هناك، وأول ما وصلنا المحل بدأ البعض بالتراجع خشية ارتفاع التكلفة، ومنهم من قرر الاكتفاء بسندوتش فول تيك أواي بقرشين صاغ، والبعض قرر خوض التجربة إلى النهاية!وبالفعل صعدنا إلى الدور الثاني وبدأنا في طلب أطباق الفول بزيت الزيتون، والفول بزيت التموين، وفول بزيت السيارات، وأطباق الفلافل وهلما جرا.

وأكلنا حتى الثمالة، ثم ذهبت السكرة وجاءت الفكرة،

وطلبنا الحساب،

وكانت الطامة الكبري، فاتورة الحساب جنيهان ونصف!

يا نهار ألوان!

منين يا جودعان!

وبدأ كل منا في استعراض ما يملكه من عملات ورقية جديدة لم يمر على وجودها في جيوبنا سويعات قليلة، ربع جنيه من هنا، ونصف جنيه

مـن هنـاك، وخمسـة قـروش طائـرة، وبالـكاد جمّعنـا المبلغ، وطـيران من هنا يا ولاد!

وبعدهـا لم نصعـد إلى سـندرة الوحيـد مـرة أخـرى، وأيضًـا لم يسـتمر الوحيـد في اسـتقبال زبائـن في المطعـم الجديـد، وعـاد كل منـا لسـابق عهده!

الحكاية الثانية عشر

السنجة وقعت

ترام الإسكندرية أحد أشهر معالمها، وهو أول ترام ووسيلة نقل جماعي في أفريقيا كلها، ويسبق حتى ترام القاهرة، والإسكندرية هي إحدى مدن قليلة يسير فيها الترام ذو الدورين الذي كان ركوبه فسحة في حد ذاته، فكانت كراسيه الخشبية اللامعة والتي لا يتوانى العاملون عن تلميعها بالورنيش تحتضن سيدات المجتمع السكندري، وهن يرتدين أفخر ثيابهن وتفوح منهن الروائح الجذابة، بينما يرتدي الرجال البدلة ورباط العنق ويذهبوا جميعًا إما إلى إحدى دور السينما في محطة الرمل، أو للجلوس على ترياتون أو ديليس أو أثينيوس.

وكان الترام يحتوي على عربتين، العربة ذات الدورين وهي درجة ثانية، والعربة الملحقة بها ذات دور واحد، وهي درجة أولى تمتاز بميزتين أساسيتين عن الدرجة الثانية، وهما أن كراسيها مكسوة بالجلد، ومثبت بها بالأعلى رف معدني يستطيع الركاب أن يضعوا عليه أمتعتهم وحقائبهم.

وكانت المتعة الكبرى أن تقف بجوار السائق وتشاهده وهو يقود الترام واقفًا، بينما يضغط بقدمه على الجرس فيُصدر رنينًا منغمًا يسترعي انتباه المارة والسيارات، وكانت تذكرة الترام لا تتجاوز القرشين، ولكن الشطارة كانت في التزويغ من الكمسري!والمتعة الأكبر كانت في الجلوس على سبنسة الترام وهواء الشتاء يلفح وجهك.وفي ترام الإسكندرية كان يتم

تـداول عملةمعدنيـة هـي الوحيدة من نوعهـا، حيث كانت هنـاك دائمًا أزمة فكـة، فـكان الكمـسري في البدايـة يقـوم بكتابـة الباقـي عـلى ظهـر التذكـرة، ثـم يقـوم الراكـب باسـترداد هـذا الباقـي مـن المكتـب الرئيس بمحطـة الرمل أو محطـة فيكتوريـا، ثـم أصـدرت هيئـة النقـل العـام عملـة معدنيـة كانـت تعطيهـا باقيًـا للـركاب بقيمـة قـرش واحـد، عـلى أن يتـم تداولها بـين الركاب والهيئـة، بمعنـى أنـك تسـتطيع أن تدفـع للكمـسري عملتـين سـدادًا لقيمـة التذكـرة، ولكـن تطـور الأمـر فأصبـح النـاس يتداولونهـا في الأسـواق المختلفة، حيـث بـدأ تداولهـا في محـلات الفـول والفلافل، ثـم انتشرت بين كافـة الباعة، ولعـل هـذا هو السـبب الـذي دفـع الهيئة لإلغـاء هـذا العملات واسـتبدلتها بتذكـرة ورقيـة تمثـل باقـي بقيمة قـرش واحد.

وكانـت الـترام تتصـل بسـلك الكهربـاء العمومـي بعصـاة طويلـة تنتهي ببكـرة مثبـت بهـا خطـاف تسـمى (السـنجة)، ولـكي تعمـل الـترام يجـب أن تـدور البكـرة عـلى سـلك الكهربـاء ولا تخـرج عنه، فـإذا انخلـع المخطاف من مكانـه هربـت البكـرة من السـلك وارتخت العصـاة، وانقطع التيـار الكهربائي عـن الـترام، وعندهـا يصيـح سـائق الـترام (الـبِرْشْ) بكسر البـاء وتسـكين الراء والشـين، وعندها ينزل الكمسـاري من الترام، ويبدأ في محاولة إعادة السـنجة إلى مكانهـا وتثبيـت الخطـاف عـلى السـلك حتـى تتمكـن الترام من السـير.

وبعد ذلك استبدلت الترام الأثرية ذات الدورين بترام أخرى أحدث، كانت وقتها نقلة كبيرة، ولكن بعد فترة اشتاقت النفوس للترام القديمة ولصياح السائق (البِرْشْ).

الحكاية الثالثة عشر

كيف تتغلب على البلطجي في خطوة واحدة؟!

الفتونة ميراث قديم منذ عهد المماليك، وقد بدأت كفكرة ذات أهداف نبيلة تغيث الملهوف وتنصر المظلوم، ثم أصابها التحلل والتفكك حتى انتهت إلى نظام البلطجة المعروف، وكان لكل حي من أحياء الإسكندرية فتوة أو (أبو أحمد) وهو الاسم الحركي لأي فتوة إسكندراني!

والزي المميز للفتوة أو أبو أحمد الإسكندراني هو اللباس أبو لية أو السروال الأسود الواسع وفوقه صديري بلدي وجاكتة وطربوش.

ويعاون الفتوة الصف الأول من الأعوان ويطلق عليهم (الصبوات)، وهم الذين يشتركون معه في التخطيط للمعارك ويقودون المعارك.

أما الصف الثاني من المعاونين فيطلق عليهم (المجدع) وهم الجنود الذين يشاركون في المعارك باستخدام النبابيت أو المطاوي (السلاح الأبيض) وكان يطلق على الصف الأول والثاني (المشاديد)، ومنها كانت تشتق الجملة الشهيرة في الخناقات (أنت واللي يتشدد لك!).

أما آخر فئة من معاوني الفتوة فهم (المقاطيع) وهم من يقومون على خدمة الفتوة ومشاديده في جلساتهم الخاصة ويعدون لهم الكيف ومستلزماته.

والبلطجية هم ورثة الفتوات ولكن بصورة أقل احترامًا، وكان لكل حي من الأحياء ولا يزال البلطجي الخاص به ومنهم بطل حكايتنا هذه.

سامي الأسد، البلطجي الرسمي لشارع لاجيتيه، طويل القامة، ضخم الجثة، له شعر طويل ينسدل على كتفيه، ومنه استمد اللقب الذي أُطلق عليه (الأسد).

يهابه الجميع لسطوته وقوته الطاغية فلا يردُ له أحد أمرًا، وإذا ما ظهر على باب سينما لاجيتيه حيث كانت وقفته المفضلة، فإن الجميع يتوارون عن أنظاره؛ كي لا تصيبهم شطحاته، وفي أحد الأيام يدخل السينما شاب بصحبة خطيبته، ويلفت جمالها نظر سامي الأسد، ويقع في نفسه أنه أحق بها من خطيبها الذي تتأبط ذراعه.

وينتظر الأسد حتى تنتهي حفلة السينما وتخرج الفتاة بصحبة رجلها، وما إن يشاهدهما حتى يبدأ في التحرش به ومحاولة الحط من شأنه، واستعراض عضلاته أمام الفتاة.

ويحاول الفتى الدفاع عن رجولته التي أهانها سامي، ويستل مطواه من جيبه ويشهرها في وجه سامي بتردد لا يخفى على رجل عتيد في الإجرام مثل سامي الأسد.

فيسخر سامي الأسد من الفتى، ويقول له هازئًا:

إنك حتى لا تعرف كيف تستخدم المطواة!

ثم يُفرط في السخرية من الفتى ويقول له:

لو راجل اضربني بها في ط... (ويذكر لفظًا خارجًا يقصد به مؤخرته)!

ويُدير ظهره للفتى، وإذا بالفتى يغرز المطواة في مؤخرة سامي الأسد الذي يبدأ في الصراخ والعويل وسط دهشة أعوانه الذين يحملونه إلى حيث لا يعود أبدًا!

الحكاية الرابعة عشر

البحر للجميع

كان لـكل منطقـة شـاطئ خـاص بهـا، كامـب شـيزار، والشـاطبي، وكليوباتـرا، وسـيدي جابـر، وحتـى الإبراهيميـة، الـلي كان الشـاطئ فيهـا كلـه صخـر، بـس كانـت النـاس بتنـزل فيـه، وكان بيمتـاز بميـزة مـش موجـودة في أي شـاطئ تـاني، إنـه كانـت بتتركـب عـلى الشـاطئ كبايـن خشـب في الصيـف وتتفـك في الشـتا،

وكانـت الكبايـن ديـة ليهـا ريحـة مميـزة، هـي خليـط مـن ريحـة البحـر مـع الخشـب مـع الكيروسـين الـلي بنسـتخدمه في إشـعال الوابـور داخـل الكابينـة لـزوم الشـاي، ده غـير الكبايـن الإسـمنتية الموجـودة طـول السـنة عـلى باقـي الشـواطئ.

بالإضافة للشواطئ دي هناك بعض الشواطئ المفضلة للمصيفين زي سيدي بشر وميامي والعصافرة، ومن أشهر الألعاب السكندرية على الشاطئ لعبة الراكيت، وهي تطوير سكندري للعبة التنس الشهيرة، يُقال أنها بدأت عندما أخذ بعض الشباب السكندري مضارب تنس قديمة من الظباط الإنجليز الذين كانوا يمارسون رياضة التنس قرب شاطئ سيدي جابر، وظلّوا يلعبون بها إلى أن تهتكت شبابيك المضارب، فذهبوا إلى نجار قريب لهم وطلبوا منه أن يستبدل الشبكة المضروبة على المضرب بقطعة خشبية، ومن هنا نشأت هذه الرياضة اللطيفة والتي وإن كانت مزعجة بعض الشيء إلا أنها من طقوس الشاطئ السكندري.

وكان عـلى كل شـاطئ شـاويش واتنـين عسـاكر يمنعـوا أي واحـد يخـرج

مـن حـرم البـلاج بالمايـوه، وكل أسرة لديهـا أدوات البحـر الخاصـة بهـا: شمسـية، وكـراسي، وتُرمـس الشـاي، وألعـاب البحـر للأطفـال، عوامـات وكـرات وخلافـه، وفي أيـام الصيـف كنـت تـرى كل أسرة أو شـلة شـايلين الشمسـية والكـراسي بتاعتهـم وواخديـن عـدة البحـر: راكـت، وترمـس شـاي، ورادیـو، والأكل، ورايحـين يقضـوا اليـوم عـلى البحـر، وممكـن يروحـوا كل يـوم مـن أول النهـار أو بعـد الظهـر لمـا يرجـع رب الأسرة مـن الشـغل، وبعـد السـباحة يقعـدوا يتسـامروا ويروحـوا عـلى نـص الليـل.

مـش بـس كـده، الـلي كان لـه قريـب في اسـكندرية كان ينـزل عنـده أسـبوع ولا اتنـين يصيـف، والـلي ظروفـه كويسـه كان بيشـتري شـقة يسـتخدمها في الصيـف ويقفلهـا طـول الشـتاء.

تفتكر بقى كل الرحلة دي تتكلف كام؟

كان بيعـدي محصـل مـن البلديـة يقطـع تذكـرة لـكل شمسـية بـ ٥ قـروش فقـط، ولـو عـدى وملقـاش حـد تحـت الشمسـية بيسـيبها ومـا تدفعـش حاجة.وكانـت الإسـكندرية بشـواطئها التقليديـة، هـي الوجهـة الأولى للفنانـين خصوصًـا الـلي كانـوا بيعرضـوا مسرحياتهـم عـلى مسـارحها أثنـاء فـترة الصيـف، منهـم مـن كان يقتنـي شـقته الخاصـة في كامب شـيزار، أو الإبراهيميـة، أو سـيدي جابـر، ومنهـم مـن كان يحـب الاسـتجمام فيرحـل شرقًـا إلى المنـدرة.

ولمـا زاد الضغـط عـلى الشـواطئ التقليديـة بـدأ أبنـاء الـذوات هجرتهـم غربًـا نحـو العجمـي التـي كانـت أرض الفـيروز بحـق، شـواطئ سـاحرة، ورمـال ناعمـة، ومياه فيروزيـة، وكنـت تـرى الفتيـات بالبيكينـي في شـوارع بيانـكي والفـردوس، ثـم بـدأ التوجـه نحـو السـاحل الشـمالي الـذي

بـدأ بقريـة مراقيـا التـي كانـت تمتلـئ بالـوزراء والفنانـين، والذيـن سرعـان مـا هجروهـا إلى مارينـا ثـم هاسـيند، والآن مـراسي، وغـدًا اللـه أعلـم ربمـا السـلوم!

كانت المتعة ببلاش!

الحكاية الخامسة عشر

استراحة قصيرة لحين توزيع البسطا!

الأفراح كان ليها طعم تاني، وزيها زي أي حاجة تانية كانت موجودة في السبعينات والتمانينات، كانت بسيطة لكن متعتها أكبر، ما كانش فيه أفراح في فنادق خمس نجوم، ولا واحد يعمل فرح في بيروت ولا اليونان، الأفراح كانت على سطح البيت أو في الجنينة، شوية فراشة وكام كرسي، وعمل مسرح معتبر، وبوكيهات الورد الكبيرة، وعلب ملبس، وفرقة اسكندراني ويالا بينا نتجوز، أما أولاد الذوات فكانوا بيعملوا أفراحهم في بعض المسارح أو الكازينوهات اللي منتشرة على البحر زي كازينو الشاطبي، أو متروبوليتان، أو النجوم، أو لاكوارتا، ونفس البروجرام اللي بيكون في البيت هو اللي بيكون في المسرح أو (المرسح) زي مابيقول ولاد البلد مع اختلاف العدد؛ لأن المسرح بتكون طاقته الاستيعابية أكبر وبالتالي اللي حبايبه كتير كان بيعمل الفرح في المسرح.

ومن العادات الإسكندرانية الشائعة في ذلك الوقت، عادة تسلل رواد الكورنيش إلى الأفراح المقامة في الكازينوهات الموجودة على طول الكورنيش.

فكان من الطبيعي أن تتسلل أسرة ما أو شلة أصحاب إلى داخل كازينو الشاطبي، أو بانوراما، أو لاكوارتا لمشاهدة النجوم الذين كانوا يُحيون هذه الأفراح.

وكان نجوم الأفراح وقتها كثيرين، يمكن أشهرهم نجوم إذاعة

الإسكندرية عزت عوض الله، وبدرية السيد صاحبة الموال الشهير طلعت فوق السطوح أنده على طيري، وسماح وكان لازم تكون فيه رقاصة لأن الجمهور بيجب كده، لكن من أشهر فقرات الأفراح كانا قزمين، زوج وزوجته اسمهما (حودة ورمانة) كان الاتنين فاكهة أي فرح، وليهم حضور مميز جعلهم سمة من سمات أفراح السبعينات.

أما البوفيه، فالإسكندرانية بيستخدموا الكلمة اليونانية (بسطا) للإشارة إلى الجاتوه والحلويات، وفي الغالب كانوا بيعملوا عبوات كرتونية يضعوا فيها سندوتش جبنة تركي وبسطرمة، أو لانشون وقطعة جاتوه وعلبة عصير بست، ويتم توزيعها على الحضور، وذلك بعد أن يقطع المذيع الداخلي فقرات الحفل ويطلق النداء الذي تهفو إليه قلوب الجماهير:

استراحة قصيرة لحين توزيع البسطا.وعندها تتوقف كافة فقرات الحفل احترامًا لهذا الحدث الجلل وتلبية لنداء البطون الجائعة التي تهفوا لالتهام سندوتش البسطرمة مع الجبنة التركي، ثم محاولة غرز الشفاطة في أسفل عبوة عصير بست، وبعد ذلك التلذذ بقطعة الجاتوه.

ثم تبدأ المنافسة الحرة، ويتبارى الحضور في اقتناص أكبر قدر من علب البسطا، إما لتوزيعها على أقاربهم ممن لم يحضروا الحفل، أو للاحتفاظ بها لتناولها ثاني يوم على الإفطار، والاستمتاع بها في هدوء ودون ضجيج.كانت الدنيا سهلة، والمتعة بسيطة ودون تكلف وبهرجة، ولا يزال طعم سندوتش الجبنة التركي أفضل من السيمون فيميه.

الحكاية السادسة عشر

ودي كانت نهاية فرقة شارع كانوب المسرحية!

كان بيتنا يطل على حديقة جميلة، بها مانجو وذرة، وبعض أشجار الزينة، وكانت هي الملاذ الآمن لنا ولتجاربنا، ولألعابنا البريئة، وغير البريئة على السواء.

في البداية كانت عبارة عن أرض جرداء تفصل بين ثلاث عمارات سكنية، وكان الخواجة باندیلس والد صديقنا اليوناني ميشو يركن سيارته فيها بعد عودته من محل قطع الغيار الذي يملكه في شارع صلاح الدين، وفي يوم من الأيام فوجئنا بمجموعة من جنود الأمن المركزي التابعين لأحد ضباط الشرطة الذي يقطن بالعمارة المقابلة لنا، وقد أحضروا الفؤوس وشتلات بعض الأشجار، وحولوها إلى حديقة جميلة شهدت أجمل ذكرياتنا.

كنا نُجري التجارب على القطط، فيمسك بها أحدنا ثم نقوم بحقنها بمختلف السوائل والمساحيق، وننتظر لنرى النتيجة لكي نرصدها ونضمها لسجلاتنا،

وإذا ماتت إحداهن كنا نقوم بدفنها في أرض الجنينة، على أمل أن تصير بترولًا نستفيد بثمنه عندما نكبر.

ومن الطقوس الإسكندرانية أن يمتنع الناس عن أكل الفلافل، وتمتنع محلات الفول عن بيعها طوال شهر رمضان، وحين يأتي يوم الوقفة تصطف الطوابير أمام دكاكين الفلافل في مظاهرة تعبر عن مدى

اشتياق المحب لمعشوقته التي غابت عنه شهرًا بأكمله، وكنا نجتمع في ليلة العيد في الجنينة حول أطباق الفلافل، ويأتي إلينا الغريب والقريب ليشاركنا هذه الوليمة، وكان من عاداتنا في الإجازة الصيفية أن نقوم بدهان حوائط العمارات المُطلة على الحديقة بلون جديد حتى نشعر بالبهجة، ولكي تبدأ الإجازة على نظافة!

وإذا ما اشتهينا أن نمارس لعبة معينة، تكون الحديقة هي المكان المناسب لممارسة هذه اللعبة، مرة نلعب الليدو والسلم والثعبان، وبعدها بنك السعادة أو بنك الحظ، ثم طرأ على بالنا أن نمارس لعبة البنج بونج، ولكن من أين لنا أن نحصل على ترابيزة البنج بونج باهظة الثمن؟

كانت البداية زميل دراسة لأحد أعضاء شلتنا ميسور الحال، لديه ترابيزة بنج بونج خاصة، استعرناها منه فجاءت محمولة على عربة كارو لتقضي في الجنينة شهور الصيف، وبعد خناقة استردها صاحبها مرة أخري. وعادت المشكلة للظهور، ولكن هذه المرة كانت أشد وطأة فقد ذُقنا حلاوة اللعب، ولأن الحاجة أم الاختراع فقد قررنا تصنيع ترابيزة بنج بونج بالإمكانيات المتاحة، فقمنا بشراء لوح خشب وبويه خضراء، ثم صنعنا مسندين خشبيين لكي ترتكز عليهما الترابيزة، وأصبح لدينا ترابيزة بنج بونج بمقاييس عالمية، أي نعم كانت بها بعض العيوب الفنية مثل أنها لم تكن تامة الاستواء في جميع أجزائها، مما يجعل الكرة فجأة وفي أثناء اللعب تقف في منتصف الترابيزة أو على أحد جوانبها! إلا أنها في المُجمل كانت تؤدي الغرض، وبعد أن سئمنا منها بدأنا نعمل على استرداد ما دفعناه في تصنيعها من خلال

تأجيرها لمن يرغب في اللعب من أبناء الشوارع الأخرى، وبالفعل حققنا بعض المكاسب.

ثم عنّ لنا أن نؤسس فرقة مسرحية نقوم من خلالها بإشباع رغباتنا المختلفة في التأليف والتمثيل، وعلى الفور بدأنا في تأليف بعض المسرحيات المستوحاة مما كنا نشاهده على شاشة التلفزيون، وتوزيع الأدوار الأساسية على الأعضاء القياديين في الشلة، والأدوار الثانوية لباقي أفراد الشلة، أحضرنا أوراق الكراريس وقطعناها على شكل تذكرة قيمة كل منها خمسة قروش، وكان الإقبال تاريخي لحضور العرض الأول، ومن ضمن أحداث المسرحية أن شقيق البطل صاحب الشركة التجارية يقرر أن يسرق شركة شقيقه، فيحضر إلى مقر الشركة ليلًا؛ ليفتح الخزنة ويستولي على ما بها، فيشعر به الفراش، فيرتبك الجاني ويطلق عليه الرصاص، فيُرديه قتيلًا.

المهم استعد كل الممثلين لأداء الدور، وقام صاحبنا الذي سيمثل دور الفراش بإعداد كيس بلاستيك به خليط من الماء والميكروكروم، وقام بلصقه على قلبه وارتدى جاكيت جينز قديم؛ حتى لا يتعرض لعقاب والدته إذا تلفت ملابسه الجديدة، وأمسك بيده دبوس إبرة حتى إذا ما أطلق عليه الجاني الرصاص قام بغرز الدبوس في الكيس، ومن ثم ينساب الدم على صدره، وبالفعل تم استحضار مسدس لعبة وحشوه بما تيسر من البارود، وجاءت اللحظة،

أطلق الجاني على الفرّاش (واسمه في المسرحية عم عبده) الرصاص، وارتمى عم عبده على الأرض صارخًا: أأأأأأأأأه. وغرز الدبوس في الكيس فلم ينفجر الكيس!

أعاد الصرخة وغرز الدبوس فلم ينفجر الكيس!

وأسقط في أيدينا،

العرض باظ، قمنا بعمل تعديل مفاجئ في المسرحية، وكأن بعض الموظفين موجودين بالشركة،

ودخلنا إلى موقع الحادث، وأمسكنا بالدبوس وبدأنا (نغز) عم عبده صائحين:

عم عبده... عم عبده... مالك ياعم عبده؟ المجرم قتله،

والكيس لا ينفجر!

واكتشفنا أن الدبوس مصدي، والكيس سميك أكثر من اللازم. وتدخل الجمهور، وتخطوا الحاجز -ما بين المسرح والمقاعد- وبدأ كل منهم (يغز) عم عبده بما تيسر له من دبابيس، أو أمواس، أو خلافه حتى انفجر الكيس وسط تصفيق المشاهدين.

ودي كانت نهاية فرقة شارع كانوب المسرحية.

الحكاية السابعة عشر

بنلم فلوس عشان زينة رمضان

رمضان زمان كان له طعم تاني؟

أكيد،

كل تفصيلة صغيرة كانت مختلفة،

من أول ناصر بياع الكنافة البلدي اللي كان بينصب نصبة الكنافة والقطايف في رمضان، ويهدها ويخزنها بعد ما يخلص، والدورات الرمضانية بين شباب الشوارع المختلفة، وعم علي صاحب عربية الفول الـمميزة، والتي يقف بها أمام مكتبة عبد العزيز، ونذهب إلى هناك حاملين الكسرولة الألومنيوم لنشتري بـخمسة صاغ فول، لغاية الزينة في الشوارع واللي كانت كل شوارع الحي بتتنافس فيها، وكأنها ح تاخد جايزة.

البداية كانت إن الشلة تجتمع قبل رمضان بأسبوع تقريبًا، وتبدأ تحط الـمخطط الاستراتيجي لزينة رمضان، والموازنة المتوقعة لهذا المخطط،

وبعدين يتم تقسيم الشارع إلى قطاعات، وكل قطاع يتولاه اثنان أو ثلاثة من الشلة، ويبدءون في المرور على الشقق، ويخبطوا على كل شقة وهما مبتسمين ويقولوا:

بنلـم فلـوس علشـان زينـة رمضـان، كل سـنة وأنتـم طيبـين. وكان حـماس السـكان شـديدًا لهـذه المبـادرة، علشـان بالفعـل بيشـوفوا زينـة حقيقيـة مبـذول فيهـا جهـد واضـح، وبرضـه كنـوع مـن الفخـر قـدام الشـوارع التانيـة إن الشـارع بتاعهـم الزينـة بتاعتـه أحـلى، وده

يمكـن الـلي ورثنـاه مـن اليونانيـين الـلي قعـدوا في الإبراهيميـة وكامـب شـيزار سـنين طويلـة، ولا تـزال آثارهـم باقيـة إلى الآن، فـكان اليونـاني مـن دول يمـشي في الشـارع وفي إيـده شـتلة نبـات ذات رائحـة عطـرة، أو شـكل زهـوره جذابـة، ويخبـط عـلى بـاب فيـلا أو عـمارة مـن الـلي موجوديـن في الشـارع، وبمنتهـى الأريحيـة يقـول لصاحـب العقـار دون سـابق معرفـة:

إيه رأيك لو تزرع دية؟

من منطلق الحرص على جمال الحي.

ومـن هنـا كان سـكان الشـوارع لا يتأخـرون عـن المسـاهمة في نفقـات زينـة رمضـان، حتـى المسـيحيون منهـم! وكل واحـد عـلى قـد مقدرتـه خاصـة؛ لأن غالبيـة سـكان الحـي مـن الطبقـة المتوسـطة.

كانـت المسـاهمات تـتراوح مـن عـشرة صـاغ إلى جنيـه، باسـتثناء بعـض السـكان مـن عليـة القـوم الـلي كانـوا بيسـاهموا بمبالـغ ضخمـة تتجـاوز عـدد أصابـع اليـد الواحـدة مـن جنيهـات ذلـك الزمـن، وبعـد مـا تنتهـي المرحلـة الأولي وتتضـح الرؤيـة الصحيحـة فيـما يتعلـق بالميزانيـة، يبـدأ تطبيـق المرحلـة التانيـة وهـي الذهـاب إلى المنشـية لـشراء ورق الجـلاد والدوبـار الـلازم لصنـع خطـوط عرضيـة مـن شرائـط الزينـة، ونلصـق عليهـا الجـلاد بعـد تقطيعـه وقصـه في أشـكال جماليـة.

وكنـا نسـتخدم في عمليـة اللصـق مـادة محليـة الصنـع، عبـارة عـن دقيـق نقـوم بسرقتـه خلسـة مـن منازلنـا، ومـاء ثـم يتـم خلطهـم عـلى النار حتـى تصبـح عجينـة، وبعدهـا تـأتي مرحلـة تصنيـع المجسـمات، وأولهـا هـو

الفانـوس الخشـبي، وكلـما زاد حجـم الفانـوس كلـما كانـت فرصـة الشـارع أكـبر في لفـت الأنظـار، لذلـك كان يجـب أن يكـون هنـاك مجسـم آخـر غـير الفانـوس، فنعمـل نجمـة خشـبية ونغلفهـا أيضًـا بـورق الجـلاد الملـون، وأيضًـا مجسـمًا خشـبيًا للمسـجد ثـم المفاجـأة الكـبرى!

مجسم للكعبة الشريفة يتم كسوته بالقماش الأسود، ويزينه إطار من القماش الأخضر، نقشت عليه بالبوية البيضاء بعض الآيات القرآنية، ثم يتم إنارة كل هذه المجسمات الخشبية-والتي تم صنعها بمعرفة أحد نجاري الشارع- بواسطة لمبات إضاءة قوية، بينما يتم إنارة أركان الكعبة، بالإضافة إلى سماعات توضع بداخلها، ويتم توصيلها من راديو البيت المحظوظ الذي تم تعليق الكعبة أمامه؛ لتذيع آيات القرآن الكريم قبل مدفع الإفطار ثم أذان المغرب، وبعد ذلك مسلسل الشرق الأوسط الذي يبث بعد الإفطار مباشرة، وبعد الانتهاء من الإفطار ومشاهدة الوجبة اليومية من الفوازير والمسلسل، تبدأ أشواط الدورة الرمضانية والتي من أجلها تم تزيين الشارع كله بأفرع من النور يتم توصيلها مباشرة من كابل الكهرباء العمومي سرقة، وكانت شركة الكهرباء تتغافل عن هذه السرقة المتعمدة!

والفقرة الثانية للعب الكرة كانت بعد صلاة الفجر، فكنا نجتمع في مسجد نور الإسلام؛ لنصلي الفجر ثم ننطلق إلى الملعب الرسمي لكرة القدم (ورا الاتحاد!)

والمقصود به الشوارع المحيطة بمقر نادي الاتحاد السكندري، والتي كانت تضم مدرستي الليسية، وسان جان أنتيد، والنصر، وكلية الزراعة، ولا توجد بها عقارات سكنية، وتمتاز شوارعها باتساعها ونُدرة السائرين بها بعد انتهاء مواعيد الدراسة، مما جعلها مكانًا مثاليًا للعب الكرة، وإقامة البطولات بين فرق الشوارع المختلفة،

ونظـرًا لارتفـاع تكلفـة شراء الكـرة التـي تصلـح للمباريـات الجـادة بـين الفـرق، كنـا نقـوم بتصنيـع الكـرة بمواصفاتنـا الخاصـة،

فكنـا نشـتري كـرة جلـد صغـيرة، أو بالونـة غـير منتفخـة بالكامـل، ثـم نقـوم بتغطيتهـا ببعـض قطـع القـماش، ونقـوم بلـف بكرتـين مـن الدوبـار عليهـا، وبعـد ذلـك يتـم تغطيتهـا ببكرتـين أو ثـلاث مـن لاصـق (الشـيكارتون) المسـتخدم في ربـط أسـلاك الكهربـاء، مـع مراعـاة تناسـق ألـوان الشـيكارتون، فنجعـل الأحمـر مـع الأزرق، أو الأسـود مـع الأصفـر ليكـون شـكل الكـرة مميزًا.

والغريـب أنـه بعـد الانتهـاء مـن لعـب الكـرة قـرب السادسـة أو السـابعة صباحًـا، كانـت تبـدأ الفقـرة الثالثـة للصياعـة، بـأن نتوجـه نحـو الكورنيـش للتمشـية، وبعـد أن نقـضي ما يقرب من سـاعة حيـث هواء البحـر النقي في هذا الوقـت، نعـود إلى بيوتنـا لننـام حتـى العـصر، حيـث يبـدأ اليـوم الجديـد!

ومـع اقـتراب العيد تبـدأ الزيـارات المكوكية إلى محطة الرمـل لشراء ملابس العيـد، حيـث لم تكـن ثقافـة المـولات قـد انتـشرت بعـد، وكانـت محطـة الرمـل والمنشـية هـي الوجهـة الأولى، وشـارع لاجيتيه هـو الوجهـة الثانية.

وبعد صلاة العيد كان الطقس الرئيس هو تحطيم الورق الملون الذي يزين الفانوس، بينما نحتفظ بالهيكل سليمًا قدر المستطاع للعام القادم.

الحكاية الثامنة عشر

الإقطاعيون الصغار

قبل العيد الكبير بأيام كان يتم نصب صوان كبير أمام الجمعية الاستهلاكية، تقوم فيه الجمعية ببيع خراف العيد للجماهير، وكان سعر الخروف حوالي مائة جنيه.

وبجوار الجمعية كان فيه مخزن سيراميك مستورد، حيث لم تكن صناعة السيراميك قد انتشرت في مصر في ذلك الوقت، حيث كان ينتشر فيها البلاط الأبيض المتعرج الذي يطلق عليه الإسكندرانية اسم (زلزلي)، وهو ما يعرف بـ(القيشاني)، واسمه الصحيح (القاشاني) نسبة إلى مدينة قاشان في إيران، والتي اشتهرت بإنتاج هذا النوع من الفخار، المهم السيراميك المستورد كان يتم تعبئته في صناديق خشبية، فكان العمال يكسرون الصناديق الخشبية ويُلقون بها أمام المخزن، وينقلون السيراميك فقط للداخل.

كنا نقوم بتجميع الخشب وصنع عربة ذات عجلات، ونعلن عن تقديم خدمة توصيل خروف العيد للمنازل مقابل جنيه واحد فقط، وكان الرقم قليلًا بالنسبة للزبون لكنه أكثر من مربح بالنسبة لأطفال في الثامنة والتاسعة من العمر، فكان الإقبال تاريخيًا، والحصيلة تتجاوز العشرة جنيهات لكل واحد، مما كان يسمح لنا أن نعيش عيشة الإقطاعيين في العيد.

ويمكن تكون دي البذرة اللي زرعت فينا قيمة العمل وأهميته، فلم نكن نستنكف أن نقوم بمثل هذا العمل، وكانت متعتنا بالحصول على النقود طاغية، خاصة أنها نقود كثيرة ولا يستطيع أحدنا بمفرده أن يحصل عليها من والديه كمصروف شخصي.

وعـلى جانـب آخـر كانـت أسرنـا تشـجعنا عـلى العمـل وتُنمـي فينـا هـذه الـروح، ومـن بعـد ذلـك كانـوا دائمًـا مـا يشـجعوننا عـلى العمـل في الإجـازة الصيفيـة وفي مهـن مختلفـة، مـن بيننـا مـن كان يذهـب للعمـل في الفنـادق، ومنـا مـن كان يعمـل مـع أحـد المقاولـين في تشـطيب الشـقق، وبعـد مـا كبرنـا ودخلنـا إلى سـوق العمـل، لم يتكـبر أي واحـد مـن شـلتنا عـلى أي وظيفـة عرضـت عليـه وبدأنـا السـلم مـن أولـه.

الحكاية التاسعة عشر

عبده النحوي، وعبده دولار

اشـتهر شـارعنا بإطـلاق الألقـاب عـلى الشـخصيات التـي تـأتي بأفعـال غريبـة أو مميـزة، وإذا حـدث وارتبـط اسـمك بلقـب مُشـين أو خـارج، فسـوف يلاحقـك إلى الأبـد، وسـوف يتوارثـه أبنـاء الشـارع جيـلًا بعـد جيـل.

كان في الشـارع مكوجـي لم ينتعـل الحـذاء طيلـة حياتـه فأُطلـق عليـه (الحـافي)، وبـواب عمارتنـا عـم عبـده كان يسـتدعينا لـكي نكتـب لـه الخطابـات التـي سـوف يرسـلها لأقربائـه بالصعيـد، ونجلـس سـاعة العصـاري فـوق السـطوح لنرتشـف الشـاي الصعيـدي والفايـش، وعندمـا يتحـدث مـع أهـل شـارعنا تجـده فجـأة قـد أقحـم كلمـة باللغـة الفصحـى في حديثـه باللغـة العاميـة.

فيقول مثلًا (كنت ماشي في الشارع عندما نزل المطر)

فأطلقـوا عليـه عبـده النحـوي تمييـزًا لـه عـن بـواب العـمارة المجـاورة، والـذي أُطلـق عليـه عبـده دولار لتعاملاتـه في السـوق السـوداء.وكان لنـا جـار أعـزب يسـكن في شـقة عبـارة عـن غرفـة واحـدة، ويقـضي يومـه بـين العمـل والجلـوس في نـادي سـبورتنج طيلـة اليـوم، وكان بخيـلًا إلى حـد مـافي مـرة وصلتـه فاتـورة الميـاه بمبلـغ فلـكي -بمقاييـس تلـك الأيـام- وهـو خمسـة جنيهـات، فلـما تطّلـع إليهـا صرخ قائـلًا: ليييييييه ده أنـا باسـتحمى في النـادي!

وحـين يعـود لشـقته يقـضي جُـل وقتـه وهـو ينظـر مـن الشـباك،

ومستوقفًا من يمر أمامه من الجيران، حيث يبدأ في ثرثرة طويلة لا يقطعها إلا مرور إحدي الفتيات أو السيدات، حيث ينسى حديثه ومُحدثه، ثم يبدأ في استعراض وجهها وجسمها تاركًا فرصة ذهبية لمحدثه لكي يفلت من وجبة الرغي التي لا تنتهي، وكان إذا ذكرت له موضوعًا معينًا لا يهدأ حتى يبحث في الكتب وبين المجلات والجرائد حتى يأتي لك -دون أن تطلب منه- بأصل وفصل هذا الموضوع، فأطلقوا عليه لقب السكرتير.لكن من أطرف الألقاب التي أطلقت على أحد أفراد شلتنا لقب (كيكي) ولازمه هذا اللقب طيلة حياته، حتى بعد أن التحق بالعمل بشركة كبرى، وأصبحت له مكانة اجتماعية مرموقة، وحدث أن تقابل في رحلة الحج مع أحد أفراد الشلة الذي كان بصحبة والدته، وكان صديقنا (كيكي) بصحبة بعض مرؤوسيه في العمل، وأثناء جلسة ودية جمعت بين رفقاء الحج وبينهم صديقنا ووالدته وصديقنا الآخر ومرؤوسيه وبعض ضيوف الرحمن، وإذا بالأم الفاضلة تنطلق في سيل من الحكاوى، وذكريات الشارع متبعة كل حكاية من حكاياتها بجملة توجهها للمدير المرموق:

فاكر يا كيكي؟

ويختفي كيكي بعدها إلى الأبد، فلا يأتي لشارعنا مرة أخرى.

الحكاية العشرون
كما تدين... تُدان

مـن أوائـل السـكان الذيـن سـكنوا عمارتنـا، ملامحهـا مصريـة صميمـة، صوتهـا أجـش مـن أثـر تدخـين السـجائر، ودائمًـا مـا تتحـدث بصـوت عـالٍ كـما اعتـادت أثنـاء عملهـا في المستشـفى الحكومـي، لكـن أهـم مـا يميزهـا شـيئان، أولهـما أنهـا المـلاذ الأول لـكل مـن يصـاب بسـوء في الشـارع كلـه، فتقـوم بعمـل الإسـعافات الأوليـة اللازمـة، أو إعطـاء النصـح أو الاتصـال بمـن تعرفـه مـن الأطبـاء لمتابعـة الحالـة، حتـى أنـه لمـا تـوفي والـدي -رحمـه اللـه- وكنـا وحدنـا بالمنـزل أنـا وإخـوتي اسـتدعيناها عـلى عجـل لـكي تحـاول إسـعافه، فأخبرتنـا بالنبـأ.

مرة وكنا في إجازة العيد وقعت على الأرض وشجت رأسي، وبسرعة أقبل أعضاء الشلة التي تكبرنا في العمر وطافوا بي المستشفيات كلها، ولكن بلا جدوى حيث كان الأطباء جميعهم في إجازة، وفي النهاية عادوا بي إلى المنزل وتوجهنا إلى شقتها حيث قام أحدهم بتكتيفي، وقامت هي بعمل ثلاث غرز في رأسي وبدون بنج!

الـشيء الثـاني أن زوجهـا، وكان رجـلًا وسـيمًا جسـيمًا تعـرض في بدايـة حياتهـما الزوجيـة لحـادث أقعـده تمامًـا، حتـى أننـي لا أتذكر أني رأيته يسـير عـلى قدميـه أبـدًا، فكانـت هـذه السـيدة المكافحة تعمـل طوال اليـوم خارج المنـزل، ثـم تعـود لتعتنـي بأطفالهـا، وفي نهايـة اليـوم تدعـو أصدقـاء زوجهـا ليجالسـوه ويسـامروه ويخففوا عنه الشـعور بالملل، وتعد لهم طعام العشـاء،

وبعد انصرافهم تحمله إلى فراشه، وظلت على ذلك العهد حتى وفاته.

ولما تقدم بها العمر وانطبق عليها قول الحق -سبحانه-: (ومن نعمره ننكسه في الخلق)، كان ابنها هو من يتولى أمرها، وكان فظ الطباع، إذا قابل أحدًا من جيرانه أشاح بوجهه عنهم، ولا يلقي عليهم السلام، وكان عمله خارج المدينة فسخر الله -عز وجل- لهذه المرأة إحدى جاراتها الشابات والتي انتقلت حديثًا للسكن في عمارتنا، فكانت ترعاها وتخدمها لوجه الله، وعندما كان ابن السيدة (البراوي) يُغلظ لها القول – وكثيرًا ما كان يفعل- كانت هذه الشابة الطيبة تُخفي وجهها بيدها وتبكي، ولا تحكي لزوجها ما كان من هذا البراوي حتى لا يمنعها الزوج من خدمة الجارة المسنة، ثم تعود بنفس راضيه لتخدمها وترعاها؛ لكي تعطينا تطبيقًا عمليًا لقول رسول الله -صلوات ربي عليه وتسليماته- : (الذنب لا ينسى، والبر لا يبلى، والديان لا يموت، افعل ما شئت فكما تدين تدان).

افعل ما شئت، فكما تدين تدان!

وصلت؟

الحكاية الحادية والعشرون
لو اتأخرت أنا عارف بيت أمك!

تعلمت قيادة الدراجة على كبر، وكان أقراني يجيدونها، ويتراقصون بها كالبهلوانات، بينما يعيقني كرشي الصغير وخوفي من الوقوع من فوقها من الاستمتاع بهذه المتعة.

ولما تعلمتها حدث ما كنت أخشاه، وسقطت من فوق الدراجة في أحد أيام العيد، وأصبت بكسر في ذراعي، كان من نتيجته أن أحمل كتلة من الجبس معلقة في رقبتي لمدة شهر ونصف كاملين.

وكان في الشارع الموازي لشارعنا دكان تأجير العجل يمتكله أخوان هما عم توتا وعم صبحي،

عم توتا سمين ممتلئ الوجه، وعم صبحي على النقيض نحيف طويل الوجه، ينظر باستعلاء وهو يقود دراجته البخارية بحثًا عن الأولاد المتأخرين عن موعد تسليمهم للعجل المستأجر، كلاهما -توتا وصبحي- كانا في غاية الطيبة، تمر عليهما ليلًا ونهارًا فتراهما منهمكين في تنظيف العجل وتشحيمه، أو فك أجزائه ونقعها في الجاز؛ لإزالة آثار الصدأ من عليه،

أو استعدال جادون العجلة، أو إعادة تركيب الجنزير الذي تحرك من مكانه، فأصبحت العجلة جثة هامدة لا تقوى عجلاتها على الدوران.

وفي العيد كانا يقومان بتزيين العجل بشرائط ملونة يقومان بتضفيرها داخل إطار العجلات الأمامية والخلفية فتعطي شكلًا مبهجًا حين تتحرك

العجلة يماثل شكل التنورة التي يرقص بها الراقصون في الموالد.

وكانت الجملة الشهيرة لعم توتا عندما نذهب لنستأجر منه عجلة: لو اتأخرت أنا عارف بيت أمك!

في إشارة إلى أنه سوف يذهب إلى بيت الطفل لإحضار العجلة بنفسه، ومن الطبيعي أنه كان يعرفنا جميعًا ولو بالشبه، وعلى يقين من أننا أبناء الحي، وإلا فلن يجازف بتأجير العجل لنا، ولكن لم يكن تهديده هذا رادعًا كافيًا لنا لكي نلتزم برد العجل بعد المدة المحددة، فكنا نذهب في رحلات طويلة خارج كامب شيزار أو نسير على البحر، أو نذهب لقضاء بعض الوقت داخل المعرض الزراعي، وإذا ما شعرنا بالجوع أثناء اللعب، كنا ندخل البيت ومعنا العجلة حتى ننتهي من طعامنا ثم نخرج بها مرة أخرى لنستأنف ما بدأناه،

وإذا ما تجاوزنا الحد المسموح للتأخير، أو اكتشف عم توتا أن المحل ليس به عجل كاف لتأجيره للزبائن الجدد الذين بدأ توافدهم على الدكان، كان ينطلق هو أو عم صبحي بالموتوسيكل في رحلة البحث عن الزبائن المتأخرين، وإذا ما عثر على أحدهم فإنه يصادر العجلة فورًا ويمنعه من التمتع بقيادتها حتى الدكان، ويقوم هو بقيادة العجلة بيده اليسرى، بينما يقود الموتوسيكل بيده اليمنى في أشد المشاهد إثارة ومتعة لنا نحن الصغار.

حكاية الثانية والعشرون

إطلاق النار على من يلعبون الكرة.

مـن علامـات شـارعنا، مهنـدس خمسـيني قصـير القامـة، أصلـع الـرأس، لا نعـرف عـلى وجـه التحديـد في أي جهـة كان يعمـل، لكـن مـا نعرفـه عنـه أنـه يعيـش وحيـدًا مـع زوجتـه في شـقة بالـدور الأخـير، وفي العـمارة المواجهـة لبيتهـم كان يسـتأجر محـلًا يسـتخدمه كجـراج لسـيارته الفيـات، وكان شـديد الولـع والاهتـمام بالميكانيـكا ويسـتخدم هـذا الجـراج كورشـة يجلـس فيهـا بالسـاعات ليـمارس هوايتـه في إصـلاح السـيارة، أو عمـل بعـض التحسـينات فيهـا.

وأذكـر أنـه في أحـد أيـام الصيـف، تعطلـت سـيارة الممثلـة آمـال سـالم والـدة الفنانـة سوسـن بـدر (التـي ظهـرت في دور الخالـة أمونـة زوجـة أم ريـا وسـكينة في المسرحيـة الشـهيرة) وكانـت تُعـرض لهـا مسرحيـة عـلى مـسرح لونابـارك القريـب مـن شـارعنا، ويبـدو أن العطـل كان كبـيرًا ولكنـه اسـتطاع أن يصلـح السـيارة بمهـارة شـديدة.

وعلى الرغم من أن الرجل كان سمحًا وخدومًا إلى أقصى درجة، إلا أنه كان لديه حرص شديد يصل إلى درجة المرض على ورشته وسيارته.

كان باب الورشة من الصاج، وحينما كنا نلعب ماتشات كورة في الشارع كان هذا الباب هو الجون بتاعنا، ولك أن تتخيل كمية الرزع والخبط على باب الجراج الصاج وما يعقبه من صراخ عند إحراز هدف، أو شتيمة لو ضاع هذا الهدف.

وكان يسـكن في نفـس هـذه العـمارة محـامٍ شـهير تقـع غرفـة نومـه

أعـلى هـذا الجـراج، وكان لا يحلـو لنـا اللعـب إلا في سـاعة القيلولـة التـي ينـام فيهـا هـذا المحامـي، ويتوقـف رد فعلـه عـلى حسـب اسـتغراقه في النـوم، يعنـي لـو جـاء هـدف قبـل أن يسـتغرق في النـوم فـكان يخـرج لنـا ويبـدأ في مطالبتنـا بالرحيـل قائـلًا:

ياللا العبوا بعيد!

أمـا إذا كان قـد اسـتغرق في النـوم واسـتيقظ عـلى قذيفـة تـرج العـمارة حسـب مـا كان يقـول، فـكان رده يـترواح بـين إلقـاء مـاء بـارد علينـا، أو أن يقـذف بعـض الزجاجـات الفارغـة، وحتـى بعـض قطـع الأثـاث القديمـة حيـث قـذف علينـا مـرة كـرسي سـفرة،

ولحسن الحظ لم يصب أحد!

ومـرة مـن المـرات كنـا عايزيـن نطـور الأداء، فقررنـا تعيـين أحدنـا كحكـم للمبـاراة، وعشـان الحكـم يحـط التاتـش بتاعـه، جـاب صفـارة عشـان تكـون قرراتـه أكـثر فاعليـة، ومـا إن بـدأ باسـتخدام الصفـارة حتـى خـرج علينـا المحامـي صائحًـا:

كورة أه، صفارة لأ...

وفي أغلـب الأوقـات كان يوجـه إلي أنـا الـكلام نظـرًا لأننـي كنـت أمتلـك جاعـورة عاليـة جـدًا فـكان يخـرج ليقل لي:

يا ابني،

كارنيه في الاتحاد أعملك،

في سموحة أعملك،

بـس مـا تلعبـش كـورة في الشـارع.ولا زلـت إلى الآن أتعجـب مـن رفضي

لهذه العروض المغرية، وإصراري على إزعاج هذا الرجل خاصة بعد أن بلغت قيمة الاشتراك في نادي سموحة الآن ما يقرب من مليون جنيه.

أما صاحبنا المهندس صاحب الجون، أقصد الجراج فكان في البداية يستخدم ذكاءه وتقنياته الحديثة لمنعنا من اللعب،

فقام بتصنيع شوكة كبيرة من الحديد وثبتها في أسفل باب الجراج، حتى إذا احتكت بها الكرة تفرقع وتبوظ، ثم قام بتصنيع شوكة أخرى ووضعها في منتصف باب الجراج، وكان ردنا عليه أن أتلفنا الشوكتين، وكسرنا أسنانهما فأصبحتا مثل فم العجوز الخال من الأسنان، فقام بتصعيد الموقف علينا.

إزاي؟

اشترى كاميرا فيديو – الكلام ده كان في بداية الثمانينات حيث كان شراء مثل هذه السلعة فوق طاقة البشر- وبدأ في تسجيل لعبنا للكرة في الشارع حتى يوثق جريمتنا، ثم يتواصل مع الشرطة اللي كانت في الوقت ده تقوم بعمل دوريات للقبض على الأولاد المزعجين، الذين يلعبون الكرة في الشارع، لكي يقدم لهم دليل الإدانة إذا ما طلبوه،

وطبعًا لما كانت الشرطة تصل لموقع الجريمة كنا بنستخبى لغاية الشرطة ما تمشي ونرجع نلعب تاني.

لغاية ما وصل لنقطة اللاعودة!

في يوم من أيام شهر رمضان وبعد ما ضربنا الكنافة والذي منه، واتفرجنا على فوازير نيللي وآخر حلاوة، جاء وقت الترفيه،

نزلت أنا وصديق نلعب ضربات جزاء، واخترنا باب الجراج

ليكـون هــو المرمــى،

وبدأت ضربات الترجيح،

طاااخ،

طاااخ،

طاااخ،

ولم يحتمـل الرجـل أكـثر مـن ذلـك، راح جايـب بندقيـة رش ومعمرهـا، واسـتنى لحـد مـا أنـا كنـت واقـف عـلى بـاب الجـراج أمـارس مهامـي في حراسـة المرمـى وأطلـق عـلي النـار!

وجاءت الطلقة في منتصف بطني،

وبحركـة اسـتعراضية اسـتحضرت فيهـا مهـارات حـارس مرمـى الترسـانة ومنتخـب مـصر وقتهـا حسـن عـلي الشـهير بحسـن أكروبـات، ارتميـت عـلى الأرض وأنـا أصرخ صرخـة مــن أطلقــت عليــه قذيفــة أر بي جــي وليــس مجـرد طلقـة رش بسـيطة،

وفي ثـوانٍ تجمعـت شـلتنا، والشـلة الـلي أكـبر مننـا، والـلي أكـبر منهـم، وتوجهـت مظاهـرة إلى قسـم البوليـس حيـث تـم اقتيـاده وعمـل الـلازم لـه، وبعدهـا توقـف تمامًـا عـن التعـرض لنـا، واستسـلم للأمـر الواقـع، وتـرك لنـا المرمـى نلهـو بـه كـما نشـاء.

الحكاية الثالثة والعشرون

بطيخ بالحشيش!

أسمر الوجه طويل القامة، يزين وجهه شارب رفيع كعادة أبناء الصعيد، يعمل في بلدته بالزراعة طوال فصل الشتاء، وحينما يحل فصل الصيف، ويشتد لهيب الشمس، وتنهار القوى، ويسود الخمول، يرحل إلى الإسكندرية، فيستعيد عربة اليد التي يخزنها في دكان أحد أقربائه ثم يحتل مكانه المعتاد على قمة شارعنا، والذي لا يجرؤ أن ينازعه فيه أحد، ويذهب إلى الوكالة فيتسوق البطيخ ثم يعود، فيبدأ في رص ثمار البطيخ بعد تلميعها، على ظهر عربة اليد، ويرص الباقي منه على الرصيف، بعد أن يُمهد أرضيته بالرمال حفاظًا عليه من التلف، ولا ينسى أن يترك مكانًا يفترش فيه غطاءه لينام وسط تجارته؛ كي لا تغيب عنها عيناه، ووسط كل هذا تتربع الجوزة وبواكي معسل سلوم، وقطع الفحم في تناغم بديع يخبرك عن طبيعة سهراته الليلية.نذهب إليه في الصباح فنشتري بطيخة ونحن في طريقنا إلى الشاطئ، وعندما نصل نقوم بعمل حفرة في الرمال المبتلة والقريبة من مياه البحر، وندفن فيها البطيخة حتى موعد الغداء وعندها نستخرجها ونشرع في تقطيعها فنجدها مثلجة كما لو كانت محفوظة في الثلاجة.ويمر عليه الآباء بعد عودتهم من العمل في الظهيرة فيشترون منه البطيخ بسعر أغلى بقروش قليلة عن مثيله في السوق، إلا أن شهادة الضمان هي الفرق.فإذا حدث وذهبت إلى بيتك وشققت البطيخة فوجدتها على غير ما تتمنى، وخاصة إذا اشتريناها منه في المساء وبعد أن يكون عم حسن قد بدأ وصلة الجوزة الليلية، فكما يقول المثل

(البايرة لبيت أبوها) والبايرة هنا هي البطيخة، وأبوها هو عم حسن، نعود بكل حماس إلى عم حسن، ونبدأ في وصلة عتاب رقيق يعبر عن مدى إحباطنا لفقدان المتعة المرجوة، وضياع ما كنا نخطط له من وجبة شهية من البطيخ مع الجبنة البيضا، وسرعان ما يتمتم معتذرًا ويبدأ في البحث وسط أكوام البطيخ عن أخرى قد تكون أكبر من الأولى، ولكنها يقينًا أحلى منها.

ولكي يدلل على نجاح التجربة هذه المرة يستل سكينه الشهير، ويطعن البطيخة في منتصفها، فتتشقق سريعًا كاشفة عن لون أحمر قان يثير اللعاب، فيبتسم مزهوًا بنجاحه وهو يقول:

(خشاف)

ونحملها مسرعين بينما يعود عم حسن للحشيش والجوزة.

ويأتي صيف ولا يأتي عم حسن، ويختفي كما اختفت حكايات جميلة من شارعنا.

الحكاية الرابعة والعشرون

بوسي: هات سيجارة

لم نلحظها إلا عندما بدأنا نعتاد الجلوس على المقهى بعد اجتياز الثانوية العامة، ربما كانت متواجدة قبل ذلك الوقت تمارس عاداتها التي رأيناها عليها، أو ربما كانت في مكان آخر تلعب دورًا مختلفًا.

قصيرة القامة، مبحوحة الصوت، تضع على وجهها البائس كمًّا كبيرًا من مساحيق التجميل رخيصة الثمن تضفي على مظهرها مزيدًا من البؤس، ترتدي فستانًا أسود لامعًا، يحكي بين ثناياه قصص العز التي مرت به وبها، ويتوسل إلينا قائلًا:

ارحموا عزيز قوم ذل.

تختلف حولها الأقاويل والحكايات: منهم من يقول: أنها كانت راقصة مشهورة في ملاهي الإسكندرية، يتنافس على ودها أثرياء المدينة. ومنهم من يقول: أنها من بيت طيب، لكنها اضطرت لهذا التسول المقنّع لكي تطعم من تعول من أفراد أسرتها، ولا أحد يدري على وجه اليقين ما هي قصتها الحقيقية؟

تمر على كل الجالسين وتقول لهم مقولتها الشهيرة وهي تضحك: هات سيجارة يا باشا.فيرد عليها الجالسون:

غني لنا يا بوسي أغنية مصر اليوم في عيد.فترفع عقيرتها بصوت قد تحشرج من أثر التدخين وتقول:

ياللي مـ البحيرة وياللي من آخر الصعيد...

إلى أن تصل إلى نهاية الكوبليه فتصدر صوت طرقعة مميزة من سقف فمها، تثير بها إعجاب المستعمين، فتنهال عليها السجائر الفرط، أو بعض الجنيهات القليلة؛ إعجابًا بالأداء، ونبدأ في معاكستها، ومحاولة جرها للحديث علّنا نحظى منها بما يشبع فضولنا حول قصتها، فتحكي لنا عن صعوبة الآيام ومرارة العيش، ولا تحكي شيئًا عن ماضيها، ثم تغادرنا إلى طاولة أخرى وتقول بابتسامتها الذابلة: هات سيجارة يا باشا.

الحكاية الخامسة والعشرون

البرتقال والنبلة!

مع نهاية فصل الصيف وألعابه التي لا تنتهي، والسهر إلى صباح اليوم التالي، ووصول تباشير الشتاء، ورائحة المطر التي تعبق شوارع الإسكندرية، وما يصاحبها من ظهور لبعض أنواع الفواكه التي ما إن نراها تغزو سوق شيديا حتى يلوح لنا في الأفق مريلة المدرسة ذات اللون الأصفر، وأزرارها التي تربط من الخلف مثل قمصان المجانين! ورائحة جلّاد الكتب، ومكتبة عبد العزيز بعينه الزجاجية، وقامته القصيرة، ووقفته خلف البنك وهو يسألك بطريقة كلامه ذات النبرة المتسرعة عن ما إذا كنت ترغب في شراء كشكول ٦٠ ورقة سطر وسطر؟ ولا مربعات؟ ولا كراسة رسم؟ أم هل تريد أن تشتري سلاح التلميذ؟

وما إن يتلقى منك الإجابة حتى يتحول إلى أكوام الكتب والكراسات التي يزدحم بها دكانه، وبيد دَرِبة يستخلص لك ما تطلبه بكل سهولة مما يثير اندهاشنا لتلك القدرة الفائقة.

وسط هذه الأجواء، ومع تباشير موسم البرتقال، يقف بعض الباعة بأقفاص البرتقال الأخضر، والذي لم يتلوَّن بعد باللون الأصفر، حيث لم تكن تقنية التلوين الصناعي المنتشرة هذه الآيام قد ظهرت بعد، حيث يقوم مُصدري الموالح بتلوين البرتقال صناعيًا، حتى يتسنى لهم تصديره إلى الأسواق العربية في بداية الموسم، وعلى الرغم من الصبغة الصفراء التي يزدان بها البرتقال إلا أن طعمه اللاذع لا يتغير.

هـذا الطعـم الـلاذع بالإضافـة إلى صلابـة الثـمار ونـدرة المـاء بهـا هـو مـا كان يميـز هـذا البرتقـال الـذي يصطـف الباعـة لبيعـه عـلى أطراف سـوق شـيديا، وعـلى قمـة الشـوارع حيـث يبيعـون الثمـرة الواحـدة بخمسـة قـروش!

فنشـتري منهـم ثمـرة لـولا لونهـا الأخـضر، ورائحتهـا النفّـاذة لحسـبتها مـن شـدة صلابتهـا وكأنمـا قُـدتْ مـن صخر.فنأخذهـا ونذهـب إلى المنـزل، ثـم نـشرع في قذفهـا بشـدة نحـو الحائـط مـرات متتاليـة حتـى تلـين، وتـترك أثـر ذلـك عـلى حوائـط البيوت.ثـم نـأتي بمسـمار صـدء في تحـدٍ صـارخ لقوانـين السـلامة، ونُحـدِثُ في البرتقالـة ثُقبًـا بهـذا المسـمار الصـدئ، وبعدها نمـص رحيـق الثمـرة الـلاذع في اسـتمتاع غريب.وبعـد ذلـك نقـوم بتقشـير البرتقالـة بحـرص شـديد ونحتفـظ بالقـشر لمهمـة مقدسـة مقبلة.ثـم نـأكل البرتقالـة ونقـاوم طعمهـا الـلاذع، وقلـة مائهـا في صـبر وأنـاة.

ويأتي بعد ذلك الجانب المشرق في الموضوع،

حيـث نـترك القـشر ليجـف، وبعـد أن يتحـول إلى قـشرة صلبـة نقطعـه إلى أجـزاء صغـيرة، ونسـتخدمه كطلقـات للنبلـة!

حيـث نتخفـى وراء إحـدى السـيارات، وننتظـر الفريسـة التـي مـا إن نراهـا حتـى نـشرع في تعمـير النبلـة بالقـشر الجـاف، ونسـدد في اتجـاه المنطقـة التـي نعتقـد أنهـا سـوف تحـدث ألمًـا، ويـا حبـذا لـو كانـت الضحيـة مـن الشـخصيات التـي نُكـن لهـا العـداء، عندهـا تصبـح المتعـة أشـد، والفرحـة أكـبر.

الحكاية السادسة والعشرون
إنتي واخد فُرن!

الإسكندرية تم تخطيطها طوليًا، فهناك ثلاثة محاور رئيسة متوازية وهي: طريق الكورنيش، وطريق الحرية، وطريق الترام، هذه المحاور صنعت حدودًا جغرافية لكل منطقة، فكانت المسافة الفاصلة بين كل محورين هي السمة المميزة لقاطني هذه المنطقة، فالمنطقة التي تقع بين الترام والكورنيش لها خصائصها وشلتها، والمنطقة بين الترام وطريق الحرية لها أيضًا خصائصها.

وفي كامب شيزار كانت المنطقة التي تقع جنوب طريق الحرية في المسافة ما بين هذا الطريق والسكة الحديد يطلق عليها (الحضرة البحرية)، حيث يُطلق على المنطقة الواقعة جنوب السكة الحديد (الحضرة القبلية)، والحقيقة لا أعلم يقينًا هل هي (الحضرة) أم (الحدرة)؟ حيث تعددت الأقوال واختلفت الآراء في هذا الشأن، ولكن أقربها إلى الصواب أنها الحدرة نسبة إلى الإمبراطور الروماني (هادريان) أحد الأباطرة الخمسة الجيدين الذين حكموا الإمبراطورية الرومانية في الفترة من سنة ٩٦ إلى سنة ١٨٠ ميلادية، والذي أقام بالإسكندرية لمدة تزيد عن ثمانية أشهر، وأمر بإعادة إعمارها بعد ثورة اليهود، وأعاد بناء أحيائها التي تضررت، وقام بتوزيع اليهود على أحياء متفرقة إلا أن هذه المنطقة كانت تمثل لي امتدادًا أصيلًا لذاكرتي السكندرية، حيث كان يقع منزل جدي لأبي وجدي لأمي في منزلين متقابلين في شارع من شوارع الحضرة البحرية، والتي كانت أيامها سكنًا ملائمًا لأفراد الطبقة المتوسطة من الجريج

(اليونانيين)، والنوبيين، والمصريين، ولم تكن الفئات الأخرى قد سكنت هذه المنطقة حتى تم بناء مساكن شعبية جنوب الحضرة البحرية، وبمحاذاة شريط السكة الحديد، فنزح إليها بعض سكان المناطق الشعبية الأخرى بالإسكندرية، ثم مع هجرة الأجانب للمدينة، اصطبغت الحضرة بالطابع الشعبي الصرف، خاصة مع نزوح أغلب سكانها الأصليين منها.

وكان أهم ما يميز هذه المنطقة المستشفى اليوناني، والذي أصبح فيما بعد مستشفى جمال عبد الناصر للتأمين الصحي، ومستشفي المواساة، وبجوارها مسجد المواساة، والذي نال شهرة واسعة منذ الثمانينات عندما تولى أمره الداعية الشهير (ياسين رشدي) والذي طوّر منظومة العمل في هذه المؤسسة، ورتب لها نظامًا صارمًا لا يزال مطبقًا إلى الآن، وبعد وفاته.

وكانت صلاة التروايح التي يؤمها الشيخ ياسين تجذب الآلاف من السكندريين حيث يتلو القرآن بصوته الشجيّ، ثم بعد انتهاء الصلاة يكون الموعد مع درس قصير يشرح فيه الشيخ بعض المفاهيم الدينية، بينما يكون الموعد مع تفسير القرآن في خطبة الجمعة التي اعتاد فيها على شرح أيات القرآن الكريم، بينما كاميرات الفيديو تقوم بتسجيل وتوثيق خطبه ومواعظه؛ لتنضم إلى المكتبة الضخمة التي أنشأها بالمسجد.

ومثل ما هو الحال في أغلب مناطق الإسكندرية، فقد أضفى وجود الجريج على الحضرة طابعًا خاصًا، فقد فرضوا في هذه المنطقة سلوكياتهم، وأنماط معيشتهم، وطريقة تعاملهم على جميع سكانها.

فكانت البيوت تغلق أبوابها الخارجية أمام الغرباء، ويتولى السكان أنفسهم غسيل السلالم وتنظيفها، وكانت إحدى ساكنات المنزل الذي

يقطـن فيـه جـدي لأبي وتدعـى (جورجيـة) أو هكـذا كان ينطقـون الاسـم، تتـولى غسـل السـلم، وبعـد أن تنتهـي تطـرق بـاب شـقة جـدي وتقـول لأبي الـذي كان مـن سـنها وبصوتهـا الأجـش:

محما، هات سيجارة!

هكذا تنطق اسم محمد، فتقولها مثل عُتاة أولاد البلد (محما)!

وكعـادة المصريـين، فلـم يكـن الجريـج في مأمـن مـن سـهام نكاتهـم ومقالبهـم بـل وشـجارهم، فكانـوا هدفًـا سـهلًا للأطفـال، ومنهـم تلـك الفتاة السـمراء التـي اعتـادت أن تشـاغب إحـدى النسـوة الجريجيـات، وتثـير أعصابهـا بالـصراخ، وربمـا بالسـباب، مـما يدفـع تلـك العجـوز المسـكينة، والتـي لا تجـاري الفتـاة السـمراء في سـيل السـباب والعـراك إلا أن تقـول لهـا مـن البلكونـة:

إنتي واخد فُرن! (تقصد أنها سمراء محروقة في الفرن).

فتثـير بلهجتهـا الغاضبـة المزيـد مـن البهجـة عـلى هـذا الـصراع الأزلي بـين الـشرق والغـرب.

وعـلى جانـب آخـر فقـد احتـل النوبيـون مـكان الصـدراة في هـذا الحـي، وهـو أحـد أكـثر الأحيـاء المزدحمـة بالنوبيـين بعـد كـوم الدكـة الحصـن الحصـين لأبنـاء عمومتنـا.

وفي ذات يـوم قدِمـت إلى زيـارة أقربائهـا إحـدى السـيدات العجائـز مـن قـري النوبـة الجنوبيـة، والتـي يبـدوا أنهاكانـت أول زيـارة لهـذه العجـوز الطيبـة للإسـكندرية، فأسـكنها أقاربهـا لـدى ابـن عـم لهـم يقطـن بالقـرب مـن محطـة تـرام سـبورتنج، حيـث يوجـد بالقـرب مـن المنـزل

أحـد بائعـي الجرائـد، وحـدث أن نزلـت السـيدة الطيبـة لتتسـوق بعـض حاجياتهـا، وعندمـا مـرت بجـوار بائـع الجرائـد كان ينـادي بصـوت عـالٍ (ميـكي... ميـكي) حيـث كان اليـوم يـوم الخميـس موعـد صـدور المجلـة.

وعنـد عودتهـا، ولمـا كانـت تمـر بمحاذاتـه نـادى بصـوتٍ عـالٍ (ميـكي... ميـكي)، فـما كان منهـا إلا أن أمسـكت بتلابيبـه وانهالـت عليـه ركلًا وسـبًا، والرجـل لا يـدري مـا هـي جريمتـه؟إلى أن تجمـع النـاس، واسـتفسروا منهـا عـن سـبب غضبهـا فقالـت:

الراجل قليل الأدب، في الرايحة والجاية يقول لي (نيكي... نيكي).

هو فاكرني إيه ابن الكلب ده؟!

الله يرحم الناس الطيبين!

الحكاية السابعة والعشرون

كومباوند كفر الدوار

السفر والتنزه كان يعتبر من الكماليات، فلم تكن بدعة الساحل الشمالي قد ابتدعت بعد، ولم يكن هناك ما يعرف بالسفر إلى شرم الشيخ أو الغردقة أو الجونة.

لكن أقصى ما كان يحلم به أبناء جيلي هو أن يكون لهم أقرباء يقطنون في إحدى المدن فيسافرون إليهم في الإجازات؛ لقضاء بعض الأوقات الجميلة، وبالطبع فإن على الطرف الآخر أن يرد الزيارة بأحسن منها في الإجازة التالية.

وكان من حظي أن لي خالة كان زوجها يعمل في شركة كفر الدوار للغزل والنسيج، والتي كانت بالفعل إحدى قلاع الصناعة الوطنية في ذلك الوقت، ووفرت للعاملين بها مجتمعًا كان يبدو لي في هذا السن مجتمعًا مثاليًا، فإذا أردت الذهاب إلى كفر الدوار كان السؤال الرئيس هل تريد أن تذهب إلى كفر الدوار نفسها أم إلى المساكن؟ والمقصود هنا مساكن الشركة.

فمنذ البداية صنعت الشركة حولها ولنفسها إطارًا يميزها عن باقي المدينة.

وكان السبيل إلى كفر الدوار إما بالقطار وهو المتعة الأكثر إثارة حيث تستعرض خلال الطريق الحقول والزراعات، وتستنشق بالفعل هواءً نقيًا، أو من خلال أتوبيسات الشركة ذات اللون الأحمر، والطراز العتيق،

والستائر المسدلة على النوافذ، ورجرجة الطريق التي تداعب أحلامك فيما سوف تفعله في الإجازة المرتقبة، وكانت هذه الأتوبيسات بالمجان للطلاب الذين يذهبون إلى كلياتهم ومدارسهم، وبالمجان للعاملين وأسرهم، وبتذكرة بسيطة للزائرين من أمثالنا، وكان موقف هذه الأتوبيسات ولا يزال بجوار مدرسة الشاطبي الإعدادية.

وحالما تصل إلى مساكن الشركة بكفر الدوار فسوف تجد (كومباوند) لطيفًا محاطًا بسور يشمله بالكامل، وبه بوابات، لكن بدون حراسة، ولا تتجاوز ارتفاعات العمارات فيه عن دورين اثنين، والدور الأرضي له باب يفتح على الشارع، يطل على حديقة جميلة من الداخل، وهو ما جعل سكان هذا التجمع لا يغادرونه بعد انتهاء مدة عملهم بالشركة وخروجهم إلى المعاش، فلجئوا إلى الحيل القانونية حتى يحتفظوا بهذه المُزية إلى ما بعد خروجهم من خدمة الشركة.

وإذا كنت من سكان الصف الأول فستكون وحدتك السكنية تطل إطلالة كاملة على نهر النيل (باعتبار أن الترع والمصارف هي أفرع لنهر النيل)، وحين كنا نطل من شرفة المنزل في المساء، وحين يلف السكون المدينة بالكامل فترى على امتداد البصر الزرع، ثم المياه، ثم شريط القطار وهو يشق السكون صارخًا وكأنه يجري بأفكاري عن مصير ركابه، وهل هم ذاهبون لقضاء الإجازة مثلي؟ أم أنهم عائدون منها؟

وكان اليوم يبدأ بإفطار يكاد يكون مماثلًا لإفطار الريف، فأنت في منطقة وسطى بين الريف والمدينة، ثم يتبعه الذهاب إلى السوق؛ لشراء الطلبات، ثم الصيد في أحد المصارف القريبة.

وفي المساء نذهب إلى السينما الصيفي المُقامة في وسط مصانع الشركة،

والتي ما إن أراها حتى يصيبني الذعر منها، ومن مداخنها الشاهقة، وأستحضر في ذاكرتي الحريق المروّع الذي نشب في أرجائها في الماضي القريب، والذي لا تفتأ خالتي أن تذكره وتذكر أحداثه بتفاصيل تزيد من رُعبي وإلى الآن من أية مبان صناعية عملاقة!

ومن ضمن أنشطتنا اليومية كان التسكع في شوارع المدينة علّنا نحظى برؤية نجم الكرة الأشهر «حسن شحاته» والذي كان يقع بيت والديه على بُعد عدة أمتار عن منزل خالتي.

كانت مساكن كفر الدوار بالفعل نموذجًا حيًّا لما يجب أن تكون عليه المدينة الصناعية المتكاملة، وإذا أردت أن تدرك تمامًا ما كانت عليه شاهد فيلم (ثورة في المدينة) لصباح، ومحمد فوزي، والذي تم تصوير أحداثه في مساكن كفر الدوار.

مؤخرًا كنت على موعد لزيارة عمل في كفر الدوار نفسها، وبعد أن انتهيت، لاح لي طيف كفر الدوار المساكن (أو المنتجع) فعرجت بسيارتي داخل المساكن، ويا ليتني ما فعلت!

فقد وجدت المنتجع الذي كان حلمًا للعمال، ونموذجًا للبيئة الصناعية المتكاملة، وقد تحولت الشقق السكنية إلى مقاهٍ، وتحولت البيوت البيضاء ذات التصميم الموّحد إلى مسخ شديد القبح،

وتحول الكومباوند إلى نسخة حديثة من عشوائيات هذه الأيام، وتقف مداخن الشركة الصامتة شاهدة عليها.

الحكاية الثامنة والعشرون
قبل ما العرب يتودْكوا

الحـل الثـاني لـكي تحظـى بإجـازة خـارج حـدود الوطـن (باعتبـار أن الإسـكندرية هـي وطنـي الأول، وكامـب شـيزار هـي الوطـن الثـاني) هـي أن يكـون لـك أقـارب ميسـوري الحـال، ممـن يقضـون الإجـازة خـارج البـلاد: في مطـروح، أو بورسـعيد، أو غيرهـا مـن بـلاد اللـه.

والحمـد للـه كان في العائلـة هـذا الصنـف مـن الأقـارب الذيـن نفخـر بانتمائنـا إليهـم، وإلى رحلاتهـم، وأيضًـا سـياراتهم باعتبـار أن «القرعـة تتباهـى بشـعر بنـت اختهـا».

كان زوج خالتـي هـذا -رحمـة اللـه عليـه- مـن التجـار العصاميـين، الذيـن فتـح اللـه عليهـم فـترك وظيفتـه في شركـة سـتيا، والـلي كان ليها شـنة ورنـة، وكان مبـارك شـخصيًا يقـوم بـشراء ملابسـه منهـا، وسـلك مسـلكه هـذا كل رجـال الحكـم، فكنـت إذا أردت شراء بذلـة منهـا فعليـك أن تنضـم لقائمـة انتظـار طويلـة حتـى تحصـل عـلى مـا تريـد،

وطبعًـا لسـت بحاجـة أن أنكـد عليكـم، وأذكـر لكـم مـا حـلّ بهـا الآن، ولكـن المعنـى في بطـن الشـاعر!

المهم،

قريبنا هذا ترك الشركة وبدأ في نشاط استيراد الماكينات الصناعية، ومع هوجة الانفتاح فقد راجت تجارته، واستقرت أحواله، وكان الرجل إذا ما قرر القيام بنزهة فإنه لا يتوانى عن دعوتنا لكي نصحبهم في هذه الرحلة.

وعن طريقه زرت مطروح لأول مرة!

فعلى الرغم من أن سكان الإسكندرية -في هذا الزمان- لم يكن من خططهم أن يقضوا العطلة الصيفية خارج الإسكندرية، إلا أن البعض كان من قبيل التجربة يذهب إلى مطروح.

المهم،

في أحد الأيام تلقينا اتصالًا هاتفيًا (على تلفون الجيران) بضرورة حضورنا إلى مطروح على وجه السرعة، حيث إنهم قد سبقونا إلى هناك، والجو أكثر من رائع، والعنوان هو العمارة رقم كذا بجوار استراحة سليمان متولي -وزير النقل الأشهر في ذلك الوقت- كان هناك قطار واحد يغادر الإسكندرية في الحادية عشر صباحًا، أعددنا العدة وتوجنها إلى محطة القطار، وتوكلنا على الله، ولم نكن نعلم أن الرحلة بهذا الطول، حيث تحرك القطار في الحادية عشر صباحًا، ووصل إلى مطروح في الثامنة مساءً.

ولم يكن من العسير أن نصل إلى وجهتنا في المدينة شبه الخالية!

مطروح في الثمانينات كانت مدينة بكرًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فكان هناك قطار المياه الذي يصل إليها يوميًا من الإسكندرية ليمد المدينة باحتياجاتها من المياه.

وإذا رغبت في أن تتناول بعض الماء المثلج فعليك أن تسير بضعة كيلو مترات إلى بائع الثلج بالقرب من شارع الإسكندرية، حيث تشتري قالبًا أو اثنين من قوالب الثلج، وتحملهم على كتفك حتى تصل إلى مقر إقامتك.

وإذا رغبت في التنقل من شاطئ لآخر، فوسيلة النقل المتاحة هي الكارتّة التي يقودها غالبًا أحد الصبية من أبناء البدو.

وكانت أغلب الرحلات والمعسكرات تقطن في خيام من الخيش يقومون بنصبها في شكل معسكرات على طول الشاطئ، ولعل أشهرها معسكر كلية الزراعة والذي كانت به يوميًا حفلة سمر ينتشر صداها في كل مطروح. وكان هناك على استحياء بعض البدو الذين يقومون بتأجير الدراجات لمن يرغب من المصطافين، وكان الإيجار لا يتجاوز خمسة قروش ولغاية ما تزهق وترجعها من نفسك!.

كانت مطروح بالفعل بكرًا، وشواطئها عالمية، ولم تكن بمثل هذه الكثافة الرهيبة التي نراها الآن في موسم الصيف، ولم يكن سكانها الأصليون من البدو قد اعتادوا على هذا الزحام، أو كما نقول ما كانوش إتوّدْكوا وعرفوا من أين تؤكل الكتف؟!

كانت أيام!!!

الحكاية التاسعة والعشرون
مشاهدة المسلسل عند سفح الأهرام.

هل كنت محظوظًا أكثر من اللازم؟

ربما!

فلم يبخل القدر على أن جعل لي أقارب يقطنون في القاهرة أيضًا، فكان لزامًا علينا أن نصل رحمنا وخاصة في إجازة نصف العام، فكنا نشد الرحال إلى العاصمة، والحقيقة فقد كانت القطارات في هذا الوقت من القرن الماضي أفضل حالًا مما هي عليه الآن، وكانت تذكرة الديزل درجة أولى إلى القاهرة باثنين جنيه وربع! والرحلة تستغرق ساعتين وعشر دقائق.

الآن تبلغ تذكرة الدرجة الأولى مائة وثلاثون جنيهًا، أي حوالي خمسة وستين ضعف السعر السابق، وهو ما يمكن أن نقبله باعتبار بعض العوامل مثل: التضخم، وارتفاع الأسعار، وغيرها من المبررات التي قد تكون مقنعة.

لكن ما لا أستطيع فهمه هو كيف يزداد وقت الرحلة إلى ثلاث ساعات كاملة، مع ثبات المسافة، ومع وجود الجرارات الحديثة التي تم استيرادها مؤخرًا.

على العموم... مالناش دعوة يا موحيي!

كانت رحلة القاهرة من أمتع الرحلات، وعلى الرغم من أنني الآن أتردد

على القاهرة بشكل شبه يومي، وربما أتردد على نفس الأماكن التي اعتدنا أن نزورها خلال الإجازة، إلا أنني لا أشعر أبدًا بمثل هذا الشعور الذي اعتدته تلك الأيام.

ربما لأن الذين ارتبطت معهم هذه الذكريات قد رحلوا عن دنيانا، أو أننا لم نعد بهذا الصفاء الذي كناه وقتها، لا أدري.

كان من طقوس زيارتنا طبعًا أن نذهب إلى الحسين، ونزور المقام الشريف، ونبوح له بما في أحلامنا راجين من المولى أن يلبيها لنا بكرامة حفيد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ومنها أيضًا جولتنا في خان الخليلي، والذي لم يكن كسائر الأماكن بهذا الزحام الرهيب الذي هو عليه الآن.

ومن الطقوس أيضًا أن نستقل قطار باب اللوق ونذهب إلى أقاربنا في عين شمس، وهو نفس المسار الذي احتله مترو الأنفاق الآن.

ولكن أعجب ما كان في هذه الزيارة هو الرحلة الليلية إلى الأهرامات، حيث كان مسموحًا وقتها بزيارة الأهرام مساءً، وأن تدخل بسيارتك إلى حرم الأهرام، وكنا نصطحب معنا اختراعًا شديد الإبهار في ذلك الوقت، ألا وهو تلفزيون أبيض وأسود يعمل بالبطارية!

فكنا نجلب معنا لوازم السهرة من سجادة خفيفة، نفترشها ونجلس عليها، ونُدير جهاز التلفزيون، ونرص أطباق الأكل، وفي بعض الأحيان نقوم بشوي اللحوم باستخدام الشواية والفحم، ونشرب الشاي بالنعناع المعد مسبقًا في التُرمُس، ونتناول الحلوى والفاكهة، ونشاهد المسلسل أو الفيلم العربي، ثم نعود إلى المنزل بعد هذه السهرة الرائعة في ظلال الأهرام.

حقيقي عشنا أيام ممتعة!

الحكاية الثلاثون

أمورة

لا أدري ما هي الصلة الوثيقة بين الشارع، أو الحارة، أو القرية، المصرية والمجانين؟

فلا يكاد يخل أحدهم من وجود مجنون أو أكثر كعلامة مميزة للحي أو القرية أو الحارة.

ولم يشذ شارعنا عن هذا التقليد المصري العتيد.

كانت البداية مع أمورة.

وأمورة: ليس كما قد تتصور أنها فتاة أمورة،

أمورة هو: تدليل أحمد!

وهو ، وسيم، قوي البنية، له أخوة كُثر، وكان يعمل في وظيفة محترمة، وعلى علاقة طيبة بكل سكان الشارع، وفي صبيحة أحد الأيام فوجئنا بأمورة وقد وقف يصرخ في الشارع، ويهذي بكلمات غير مفهومة، وعبثًا حاول إخوته وأصدقاؤه وجيرانه تهدئته، ولكن بلا طائل.وانتشرت الشائعات كالنار في الهشيم،

أشهرها وأقربها إلى الحقيقة أنه قد اختلف مع إخوته بشأن الميراث، وأنه يقوم بتمثيل دور المجنون حتى يضغط عليهم ليتجنبوا الفضيحة بأن أخاهم قد أصبح مجذوبًا، يجوب الشوارع فيبادرون بإعطائه حقه، وكفى الله المؤمنين القتال.

وبالفعل كان أمورة في بداية الأمر يبدو وكأنه يتصنع دور المجنون، فكان في بعض الأوقات يتحدث بشكل طبيعي إلى أن يرى أحد إخوته فيعود لشخصية المجنون،

ومع عناد إخوته وتماديه في التمثيل تحول بالفعل إلى مجنون رسمي، يجوب الشوارع ليلاً في ثياب رثة، ويصرخ بأفظع السباب، ويقذف بقوة أنبوبة البوتاجاز على الأرض مهددًا بكارثة حقيقية لا يعلم مداها إلا الله.

وبالفعل في فجر أحد الأيام نزل إلى الشارع وأخذ يدق بعنف على إحدى السيارات، وفوق البطارية مباشرة مما تسبب في حدوث ماس أدى لاحتراق السيارة بالكامل، وبعدها مات أمورة ولم نعد نسمع صراخه، إلا أن شارعنا لم يفتقد المجانين طويلًا، فبعد فترة ظهر في الشارع مُدعٍ آخر للجنون!

كان يقطن في الشقة المجاورة لشقتنا أسرة سكندرية، ولكنهم يقيمون في القاهرة حيث مقر عمل الأب، فلما توفي الأب قررت الأم أن تعود مع ابنتها لكي تقيم في الإسكندرية، حيث بدأت الخلافات تدب بينها وبين ابنها الأكبر الذي تركته مع شقيقه في شقة القاهرة، ثم ما لبث أن جاء الابن الأكبر إلى الإسكندرية؛ لكي يثير المشاكل مع الأم، ومنها ما يتعلق بالإرث الذي تركه الوالد.في البداية كان الابن يفتعل الشجار مع الأم التي حاولت معه بالحسنى مرة، وبالتهديد مرارًا، حتى تصاعدت وتيرة الخلافات، وبدأ الابن يتطاول على أمه بألفاظ واتهامات ما أنزل الله بها من سلطان،حتى أصبحت دارهم مقرًا مفتوحًا للقاصي والداني، لكي يفصل بين الأم وابنها.ولما شعر الابن

أن الجميـع لا يظهـرون تعاطفًـا معـه، ادعـى الجنـون،

وبعدها ادعى الألوهية,

فـكان يجلـس صامتًـا ثـم يقـول لأمـه وأختـه: (يالـلا انتـي وهيـه كل واحـدة فيكـم تصـلي لي ركعتـين) -أسـتغفر اللـه العظيـم-.

وفي إحــدى الأمســيات، كانــت الأم جالســة وحدهــا، تجــتر آلامهــا، وصــدرت عنهــا تنهيــدة ثــم قالــت: يــارب!

فرد عليها الابن بكل بساطه: نعم!

اسـتمر صاحبنـا في ادعـاء الجنـون فـترة، والألوهيـة فـترة أخـرى، ثـم غـادر المدينـة إلى مدينـة أخـرى ولم نـره بعدهـا إلا حـين ماتـت أمـه، وقـد جـاء يبـكي ويولـول عليهـا ويقـول: سـامحيني.

الحكاية الواحدة والثلاثون

موريس بتاع الكتب

مـن حسـن الحـظ أن القنـوات التليفزيونيـة لم تكـن بهـذا التوحـش الـذي هـي عليـه الآن، فالتلفزيـون الحكومـي لم يكـن بـه سـوي قناتـين فقـط: القنـاة ٥، والقنـاة ٩، واللتـان أصبحتـا فيـما بعـد، القنـاة الأولى، والقنـاة الثانيـة.

وكان الإرسـال الرسـمي ينتهـي في حـدود السـاعة الثانيـة عـشر مسـاءً. ويظـل كذلـك حتـى التاسـعة مـن صبـاح اليـوم التـالي، وفي عـصر التلفزيـون الأبيـض والأسـود -ماركـة نـصر الشـهير-، والـذي كان يغـزو كل البيـوت المصريـة بتصميمـه القريـب مـن الصنـدوق، والـذي كان يحتـل مـكان الصـدارة في أي بيـت مـصري، وربمـا زادت الأسرة في احتفائهـا بـه فوضعتـه في صنـدوق خشـبي ذي ضلفتـين، بحيـث يتـم إغلاقـه في وقـت المذاكـرة، أو عنـد انتهـاء الإرسـال، وفي ظـل نظـام تشـغيله الـذي يعتمـد عـلى اللمبـات، في عـصر مـا قبـل الليـد، والتـي كانـت تسـتغرق وقتًـا طويـلًا حتـى تسـخن، ثـم يقـوم الجهـاز بعـرض الصـورة، وكثـيرًا مـا تتلـف أو (تتحـرق) فنضطـر لتغييرهـا حتـى يعـود للتلفزيـون الـروح التـي سـلبت منـه، وفي وجـود نظـام تقليـب القنـوات الـذي يسـمى (البكـرة) فلـم يكـن لديـك أي فرصـة في الحصـول عـلى إرسـال أي قنـاة أخـرى عابـرة مـن خـلال مجالنـا الفضـائي، ولمـا ظهـر التلفزيـون الملـون في نهايـة السـبعينات، وكانـت أشـهر أنواعـه ماركـة فيليبـس الهولنديـة، أذكـر أن سـعره في عـام ٧٩ كان خمسـمائة جنيـه

كاملة، وهي ثروة كانت تتطلب من رب الأسرة قرضًا أو جمعية، فكنا في شهور الصيف وحيث يكون الجو رائقًا نقوم بالعبث في أزرار تردد القنوات في العلبة الجانبية الملحقة بالجهاز علّنا نحظى بالتقاط إرسال من اليونان، أو بيروت لكي نقضي بقية السهرة التي انتهت بانتهاء إرسال التلفزيون المصري.وكان للراديو حضور قوي في هذه الأيام، لعل أشهرها برامج الصباح التي نسمعها ونحن نستعد للذهاب إلى المدرسة مثل البرنامج الديني (أبواب السماء) والذي يمتاز بأغنيته الشهيرة للمطرب محمد ثروت، أو برنامج الأطفال (فانتستيكأ) الذي تقدمه: سناء منصور، وعمو حسن، والذي كان يقدم برنامج للأطفال في فترة العصر باسمه، وأيضًا مسلسلات الراديو الشهيرة التي تذاع في الساعة الخامسة عصرًا.

إلا أن أهم فترات متابعة الراديو كانت في شهر رمضان المبارك، حيث تلتف الأسرة بالكامل حول الراديو لمتابعة المسلسل الإذاعي الذي تُبث حلقاته وقت الإفطار، والذي لم يكن أعتى المسلسلات التلفزيونية يستطيع أن ينافسه، أو أن ينتزع منها مستمعيها، وغالبًا ما كانت هذه المسلسلات ما تتحول إلى فيلم سينمائي بعد انتهاء شهر رمضان، ولعل أشهرها مسلسل (على باب الوزير) لعادل إمام، و»الدنيا على جناح يمامة» لمحمود عبد العزيز.

إلا أن هذا الاعتدال في البث التلفزيوني، ومع عدم وجود هذه الغابة الفضائية التي نحيا في ظلها الآن، قد ترك لنا مساحة واسعة لتنمية الهوايات والمهارات المختلفة، وممارسة الرياضة، وأيضًا للقراءة.

وكان مـما سـاعدنا عـلى تنميـة هـذه الهوايـة أقصـد هوايـة القـراءة، عـم موريـس بتـاع الكتـب!

كان يملـك دكانًـا صغـيرًا لا يتجـاوز عرضـه نصـف مـتر، وقـد اصطفـت عـلى جانبيـه رفـوف الكتـب الدراسـية، والثقافيـة، والمجـلات الترفيهيـة، والعلميـة، والألغـاز، ومجـلات ميـكي، والكتـب الثقافيـة.

فكنـا في البدايـة نقـوم بـشراء مجلـة ميـكي، أو ميـكي جيـب، أو لغـز مـن ألغـاز المغامريـن الخمسـة، ثـم في المـرة التاليـة نقـوم باسـتبدال هـذه المجلـة، أو اللغـز بآخـر نظـير دفـع خمسـة قـروش لعـم موريـس، والـذي كان يقـف بـكل صـبر وأنـاة ليسـتعرض لنـا العـشرات مـن أعـداد مجلـة ميـكي، أو المغامريـن الخمسـة، أو المغامريـن الـ ١٣، حتـى نختـار مـن بينهـا مـا نريـد قراءتـه دون أن يعـترض أو يتذمـر، وكأنمـا كان الرجـل يريـد أن يسـاهم بصـبره هـذا في توسـيع مداركنـا، وتنميـة حـب القـراءة لدينـا.

هذه ثمرتك يا عم موريس، أرجو أن تكون قد أتت أُكُلها!

الحكاية الثانية والثلاثون

ما لن تكتشفه مباحث المصنفات

في ظل عدم وجود الإنترنت والقنوات الفضائية المتعددة، كانت شرائط الكاسيت هي البديل الأكثر تطورًا من اسطوانات الريكوردر، ذلك الصندوق ثقيل الوزن، والذي يشبه شنطة الملابس متوسطة الحجم، والذي يرتبط بميكروفون حديدي ثقيل الوزن يتيح لك تسجيل صوتك، واستعادة ذكرياتك وقتما شئت، كما أنك تستطيع من خلاله الاستماع إلى أسطوانات مطربك المفضل، وفي نهاية السبعينيات وبداية الثمانينات، انتشرت ظاهرة الاستماع إلى الفرق الغنائية الأجنبية مثل الباكاره، والبوني إم،وبعدها بدأت الفرق الغنائية المصرية على استحياء مثل فرقة الجيتس، والفور إم، والمصريين والأصدقاء، وأغنياتهم التي كانت أيقونة هذ الفترة الزمنية مثل (طلب القهوة وما شربهاش) لفرقة الجيتس، وأغنية (٣ فرسان) لفرقة الأصدقاء، وغيره من الأغاني التي ارتبطت بوجدان من عاصروا تلك الفترة، إلا أن الطفرة الحقيقية التي حدثت لهذا القطاع هي ظهور حميد الشاعري على الساحة الغنائية، وما استتبعه من ظهور مكثف لجيل ما بعد علي الحجار، ومحمد منير، فكان حميد الشاعري يتبنى هذه الأصوات الشابة، ويساعدها في إصدار تجاربها الغنائية المختلفة مما أثرى الحياة الفنية بالعديد من التجارب منها ما استمر وتطور وظل موجودًا حتى الآن، ومنها ما لم يتجاوز الفقاعة، والتي انتهت بمجرد خروجها إلى الهواء،

ولعل أشهر تجارب حميد الشاعري ما حدث مع علي حميدة وألبوم (لولاكي) اللي كسّر الدنيا في ذلك، وتخطت مبيعاته الملايين، ولم يكن هناك مقهى أو منزل أو سيارة إلا وتصدح أغاني هذا الشريط بها، وبعد ذلك انهار هذا الصرح سريعًا ولم تقم له قائمة.

لكن الشاهد من هذه القصة هو الرواج الشديد الذي حدث لصناعة الكاسيت، والذي اجتذب العديد من أصدقائنا هواة الغناء لاقتناء كل ما يصدر من البومات غنائية، لدرجة أن أحد الأصدقاء وصل عدد الألبومات التي اقتناها إلى ما يقارب الثلاثة آلاف شريط! مما استدعى أن يقوم بتسجيلهم في سجل كبير، وإذا حدث أن استعار أحد الأصدقاء منه شريطًا، فيقوم بتسجيل ذلك في دفتر يشبه الدفاتر المستخدمة في المكتبات المدرسية المخصصة لاستعارة الكتب حتى يستطيع متابعة حركة الشرائط، ويطمئن أنه لم يفقد أيًا منها.

وفي مرة من المرات، بينما صديقان من الشلة يتسكعان بالسيارة، وفي حوزة أحدهما شنطة بلاستيكية مملوءة بشرائط الكاسيت المختلفة يستمعان إليها، اصطدمت السيارة بسيارة أخرى، وفي حين بدأ صديقنا مالك السيارة في تفقد الأضرار التي حدثت لسيارته وللسيارة الأخرى، والشجار مع قائد السيارة الأخرى حول من المسئول عن الأضرار، وسط كل هذه المعمعة انسل الصديق الآخر بشنطة الشرائط المملوكة له، ولم ينس أن يسحب من كاسيت السيارة الشريط الذي كان بها، مفضلًا الحفاظ على ثروته من شرائط الكاسيت على دعم صديقه في مشاجرته. ومع ارتفاع سعر شريط الكاسيت، والذي وصل سعره إلى جنيهين، ما شكل استنزافًا شديدًا للموارد المالية المتهالكة بالأساس لأعضاء الشلة.

قـررت الشـلة التـصرف بحـزم لمواجهة هـذا الغـلاء وجشـع التجار،فكان هـاوي اقتنـاء الشرائـط يقـوم باسـتعارة الشريـط المرغـوب، ثـم ينسـخ منـه نسـخة مقلـدة، وبعدهـا يذهـب إلى محـل بيـع شرائـط الكاسـيت، ويطلـب شراء نفـس الشريـط الـذي قـام بنسـخه، وينتظـره عـلى بـاب المحـل صديـق آخـر يحمـل النسـخة المزيفـة، ومـا إن يخـرج مـن بـاب المحـل حتـى يقـوم بحركـة خاطفـة باسـتبدال النسـخة الأصليـة، ويضـع مكانهـا النسـخة المقلـدة، ثـم يعـود خـلال دقيقـة إلى المحـل مـرة أخـرى ليعلـن للبائـع عـن عدولـه في رغبتـه في شراء هـذا الشريـط، ويقـوم باسـترداد نقـوده ويذهـب مسرعًا.أعتقـد أنـه السـبب الحقيقـي في انهيـار صناعـة الكاسـيت حتـى الآن.

الحكاية الثالثة والثلاثون
العائلة التي يطاردها (الحظ)

كان صديقنا يتناول إفطاره في صبيحة أحد الأيام وهو يطالع جريدة الأهرام، ثم وقع نظره بالصدفة على إعلان جوائز شهادات استثمار البنك الأهلي، قرأ اسم الفائز بالجائزة الأولى وخُيّل إليه أنه يعرف هذا الاسم، ركز قليلًا ثم اكتشف أنه جاره في الطابق العلوي، فأخذ الجريدة ثم أسرع قفزًا على السلالم لكي يبشرهم بالجائزة الكبرى ٢٠ ألف جنيه، ولكي يبشرهم أيضًا بالحظ السعيد الذي سيلازمهم.تغيرت أحوال الأسرة بهذه الثروة الطائلة التي لم تكن في الحسبان، إلا أن الغريب في الأمر أن الجائزة كانت مُقَدِمة لبعض الأحداث الغريبة التي لازمت هذه الأسرة،

فبعد أن ربح الابن الأكبر هذه الجائزة، قام باستخدامها في شراء عقار قديم نوعًا ما، لينهار العقار بعدها مخلفًا أرضًا فضاء في منطقة مميزة بقيمة عقارية ضخمة، ثم بعدها يلتحق بالعمل لدى أحد رجال الأعمال الأثرياء، والذي لم يكن له زوجة ولا ولد، ويعامل صاحبنا هذا كأنه ابنه الذي لم يلده، وبالفعل يناديه صاحبنا (بابا)،

ويقوم صاحبنا بإلحاق إخوته بالكامل للعمل لدى (بابا)،ويتكفل (بابا) بنفقاتهم، ونفقات زيجاتهم بالكامل.

وفي أحد الأيام بينما الأب يسير في طريقه إذا به يتعثر في حقيبة كبيرة، ولما فتحها إذ بها تغص بالأموال التي لا يعرف صاحبها، ويموت

بعدهـا (بابـا) ويـترك إرثـه بالكامـل لأبنائـه الجـدد!

وعندهـا يُعلـق جارنـا الـذي غُلّقـت أمامـه جميـع أبـواب الـرزق (لمـا تكـون الدنيـا عايـزة تيجـي حتيجـي ومفيـش حاجـة توقفهـا).

الحكاية الرابعة والثلاثون

بـ ٣ جنيه بنزين... واتوصى!

كان اقتناء سيارة هو ضرب من الخيال، إلا أن لكل قاعدة استثناء.

واستثناء قاعدتنا كان في والدة أحد أعضاء الشلة، والتي كانت على قدر من الثراء سمح لها باقتناء سيارة فيات ١٢٨ مستعملة، ذات لون زرعي (نفاذ)، ولكنها يقينًا كانت تغني عن سؤال اللئيم.

ومما زاد من الوجاهة الاجتماعية لهذه الأسرة أن الأم استطاعت أن تقتني شقة مصيفية في أهم بقعة استراتيجية في العجمي، وهي (بيانكي) ففي ضربة حظ لا تتكرر كثيرًا حصلت على روووف كامل بمساحة تتخطى ٢٠٠ متر نظير مبلغ لا يتجاوز ٦ آلاف جنيه، فكانت هذه الشقة هي وجهتنا الرئيسة طيلة أيام الصيف، حيث تنتقل القاهرة بفنانيها وسهراتها إلى بيانكي، وبما أننا من سكان بيانكي حتى ولو كنا من سكان السطوح فنحن شركاء في هذه السهرات، ونحن جزء لا يتجزأ من هذا النسيج العجماوي.وطبعًا كان من دواعي الوجاهة الاجتماعية أن نذهب إلى العجمي بالسيارة، فليس من المعقول أن نكون من قاطني بيانكي ونذهب إليها بالأتوبيس مثل عامة الشعب.

وكانت السيارة الـ ١٢٨ هي الغاية والهدف، ولكن لابد من أن نساهم في النفقات التشغيلية لهذه الرحلة،

فتجدنا وقد فتحنا باب التبرع بين أعضاء شلتنا لجمع ثمن بنزين السيارة،

فيدفع هذا ربع جنيه، والآخر عشر قروش، وهذا نصف جنيه.

ثم نستقل السيارة ونذهب إلى البنزينة وبكل شموخ نقول للعامل بـ ٣ جنيه بنزين لو سمحت.

الحكاية الخامسة والثلاثون

احتفالية يوم الخميس

إذا كان يوم الجمعة هو العيد الأسبوعي فإن الخميس هو وقفة هذا العيد.لا يزال الخميس إلى الآن هو أحب أيام الأسبوع إلى القلب، فهو اليوم الذي يعني نهاية أسبوع كامل من العناء، والمذاكرة، والعمل، وعلى قدر ما كان الكُره ليوم السبت -قبل أن يكون إجازة أسبوعية وينتقل إلى خانة الأصدقاء- كان الحب ليوم الخميس.

وكانت الخطط تنهال على هذا اليوم، فكل المتع مؤجلة ليوم الخميس، وكل المواعيد التي لم تنفذ، فسوف يكون لها شأن آخر يوم الخميس.

والزيارات العائلية يوم الخميس.

والأفراح... خميس.

والعزومات... خميس.

وحبيبكم مين؟... خميس.

مازلت إلى الآن استحضر فرحة الخروج من بوابة المدرسة بعد نهاية هذا اليوم، ومهما كانت الدروس شاقة فهي خفيفة لطيفة ببركة هذا اليوم.

في المرحلة الابتدائية، كان لعب الكرة في الشارع هو المتعة، وهو الجائزة التي نمنحها لأنفسنا جزاءً وفاقًا على ما تكبدناه طيلة الأسبوع من مشاق.

وبعد ذلك وفي المرحلة الإعدادية بدأنا نغزو السينمات يوم الخميس، ثم استطال البرنامج ليصاحبه عشاء في أحد المحلات وكان أشهرها بيتزا

(شي جابي) أول من افتتح هذا النشاط في الإسكندرية، أو ساندويتشات من (على كيفك) وبعدها لابد من بسبوسة بالقشطة من الحلبي أو الفيومي في محطة الرمل.

وكانت نقطة تجمعنا في ظل عدم وجود التلفون المحمول، بل أصلًا لم يكن هناك حتى تلفون أرضي، فكنا نتقابل عند فشار (جوجو) ولمن لا يعلم فشار جوجو فهو العشق والذكريات، ورائحة الإسكندرية التي لن تعود.

محل فيشار عادي جدًا، ولكنه يحمل نكهة ذكرياتنا، وكأي ذكرى جميلة أصرت هيئة النقل العام على إزالته بدعوى تطوير ميدان محطة الرمل، واستغرق الموضوع سنوات وسنوات حتى انتهى التطوير، وعاد كل شيء كما كان عليه إلا فشار جوجو الذي لم ينجح في ملء فراغه أحد.

كنا نجتمع عند جوجو ثم نبدأ جولتنا الليلية، والتي تستمر حتى ما بعد منتصف الليل، نكون قد انفقنا فيها كل مصروف الأسبوع القادم تقريبًا، ثم نعود إلى كامب شيزار ونحن في غاية النشوة لنقف كثيرًا في الشارع كي نجتر ذكريات هذه السهرة وما نريد تكراره منها في الأسبوع القادم، ويستمر هذا الحديث إلى ما بعد صلاة الجمعة في اليوم التالي وكأننا نشحن البطاريات لكي نواجه يوم السبت الرهيب، وما يحمله الأسبوع القادم من مفاجآت.

ويا يوم الخميس... أحبك.

الحكاية السادسة والثلاثون

عبد الله النديم

كانت مدرستي الإعدادية تحمل اسم ذلك المناضل الوطني الشهير، وخطيب الثورة العرابية المفوّه «عبد الله النديم» والذي كان يزدان مدخل المدرسة الرئيس بتمثال نصفي له، كما كان له تمثال شهير في حديقة الخالدين بميدان القائد إبراهيم، والتي كانت إحدى الوجهات الرئيسة للنزهة، حيث تتجمع العائلات في هذه الحديقة اللطيفة والمطلة على البحر من جهة، وعلى مسجد القائد إبراهيم من جهة أخرى، والقائد إبراهيم هو أحد رموز العسكرية المصرية، وأحد الفاتحين العظام، والذي واجه الجيوش الأوروبية، ووصل إلى حدود القسطنطينة، وزلزل عرش الخلافة العثمانية إلى أن تربصت به الجيوش الأوروبية عندما استشعرت خطورته في ظل أطماع والده محمد على الكبير التوسعية.

أما شيخنا عبد الله النديم فهو ابن خباز سكندري، وكان مولع بالكتابة، وانضم إلى الثورة العرابية، وكان بمثابة وزير الإعلام الخاص بها، ولما انهزم عرابي ونفي إلى الخارج ظل عبد الله النديم مطاردًا في القرى المصرية إلى أن هرب إلى اسطنبول ومات هناك وحيدًا غريبًا،وكانت المدرسة التي تحمل اسمه هي الرغبة الأولي لنا، حيث إنها كانت مدرسة المتفوقين، وكان ناظر المدرسة الأستاذ الفاضل «صلاح حجازي» وهو من علامات التعليم في الإسكندرية، ويذكره كل طلابه بالنداء الشهير الذي يوجهه للطالب المتسكع أو المهمل: (تعالى يا لوح).

وكانت هناك كوكبة من المدرسين، ونماذج شخصياتهم المختلفة، والتي لا نزال نذكرها إلى الآن رغم مرور أكثر من ثلاثين عامًا عليها،فمنهم أستاذ اللغة العربية الذي كان يستكتبنا إقرارًا بخصم عشر درجات منّا إذا ما قصرنا في عمل الواجب المنزلي، ويحتفظ بهذا الإقرار معه حتى إذا ما اشتكى ولي أمر الطالب من انخفاض درجات ابنه، أظهر له هذا الإقرار الذي يطلب فيه التلميذ من الأستاذ ويرجوه أن يخصم منه عشر درجات لإهماله في الواجب.لكن من أطرف ما مرّ علينا من ذكريات في تلك المرحلة هو ما حدث مع مدرس الرياضيات، وكان شخصية معقدة وغير سوية، حيث جاء في أحد الأيام، ويبدو أنه لم تكن لديه رغبة في الشرح، وبدأ في استعراض ذكرياته ومغامراته ونكاته السمجة وسط ترحيب عالٍ من الطلاب الذين راقهم أن تمر الحصة بسلام، وبدون أن يتعرضوا لأسئلته المفاجئة ولعصيه المتهورة.

وبعد أن مر أكثر من نصف الوقت، قام إليه أحد الطلاب المتنطعين والمداهنين، ورغبة منه في التقرب إلى الأستاذ بإظهار حرصه على وقت الحصة وقال له: يا أستاذ لو سمحت كده وقت الحصة حيخلص، ولسه حضرتك ما شرحتش الدرس.

واشرأبت أعناق الطلاب الفاشلين، وصبّوا لعناتهم على هذا الفاسد المارق، وحبس الجميع أنفاسهم في انتظار القرار الذي سوف يتخذه الأستاذ.

وسرعان ما تحول الأستاذ إلى وحش كاسر، وأخذ يضربه باليمين والشمال، وما تيسر من الشلاليط، والقفيان، وهو يصرخ بجنون: حتعلمني شغلي يا روح أمك! وعاد الطالب وهو يبكي بحرقة ولوعة ويقول:

ليه كده يا أستاذ... دا أنا بحبك؟!

أحسن، عشان تحرم.

الحكاية السابعة والثلاثون

الراعي الرسمي لحصة الألعاب

ارتبطت حصة الألعاب بشيئين أساسيين: أولهما (سلبس باتا)، والثاني «شورت (عَبَكْ)» من أبطال الرياضة!

أما الأول، فهو أحد المنتجات الرياضية رخيصة الثمن التي كانت تنتجها شركة باتا بعد تأميمها، وتحولها إلى شركة قطاع عام، زي ما بيقول الكتاب بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ، لعل أشهرها الحريق السنوي الذي كان يلتهم معرض الشركة بشارع لاجيتيه، بجوار محل فول الوحيد، والذي لم يتأخر أبدًا عن موعده الذي يوافق نهاية السنة المالية، حيث اعتادت وصلات الكهرباء الموجودة داخل المحل أن تحتفل بنهاية السنة المالية بطريقتها الخاصة، ولم تتخلف عن عادتها هذه أبدًا.كانت أهم منتجات شركة باتا هو السلبس الأبيض، أو الحذاء الكاوتشوك الأبيض، والذي كان النواة الأولي للأحذية الرياضية المعروفة الآن باسم (كوتشي)، وكان عبارة عن نعل من الكاوتشوك الأبيض، بينما يُصنع باقي أجزاء الحذاء من القماش.

ونظرًا لتطابق الحذاء الذي يرتديه كل الزملاء في الفصل، أو كل اللاعبين في فريق الكرة، فكان لزامًا على كل صاحب حذاء أن يقوم بوضع علامة مميزة على الحذاء الخاص به، فكان كل واحد يبدع ويتفنن في تمميز حذائه بأن يرسم قلبًا، أو شجرة، أو قلوب، فإن لم يستطع فيقوم بكتابة اسمه بالقلم الجاف على جوانب الحذاء، فيصبح الحذاء كأنه سيارة نقل مثل التي نراها على الطريق الزراعي، وقد تم تزيين جوانبها.

وكان سعر هذا المنتج الخطير مائتين وعشرين قرشًا فقط لا غير، وهو سعر لا يرهق ميزانية الأسرة، بالإضافة لطول عمره الافتراضي، وتحمله لظروف الخدمة الشاقة في قدم الطالب المصري، والذي يعتبر أن ركله لثمرة الدوم أو الزلط بعد انتهاء اليوم الدراسي هو عنصر مكمل لهذا اليوم لا يصح إلا به، مما كان يقضي على أعتى أنواع الأحذية في أيام قليلة. ومن أشهر التعليقات التي كنا نطلقها وقتها (براءة الأطفال في عينيه، وجزم باتا في رجليه).المثير أنني عندما سافرت إلى الخارج فوجئت بأن أحذية باتا من أرقى أنواع الأحذية، خاصة في دول أوروبا، إلا أنها قد أهينت إهانة بالغة في مصر. أما الشيء الثاني الذي ارتبطت به حصة الألعاب فهو الشورت الأبيض (العَبَكْ)، الذي كان يباع في سلسلة محلات أبطال الرياضة التي كانت أفرعها منتشرة على طول شريط الترام وكانت المصدر الرئيس للأدوات الرياضية المستخدمة في حصص الألعاب مثل الشريط الملون الذي يرتديه التلاميذ للتمييز بين تلاميذ الصفوف الدراسية المختلفة، فمثلًا يرتدي تلاميذ السنة الأولى شريط أحمر والثانية شريط أخضر والثالثة شريط أصفر، وهكذا حسبما يتراءى لمدرس الألعاب.

أما الشورت المذكور فهو شورت أبيض من قماش شعبي رديء هو العبك بفتح العين والباء وتسكين الكاف.

ومن سمات هذا الشورت أن الأستك المستخدم في صنعه كان لا يتجاوز طوله خمسة عشر سنتيمترًا، وعندما تحاول ارتداءه فإن هذا الأستيك سوف ينفجر وينهار الشورت على الأرض محدثًا لك فضيحة مدوّية لن تنساها طيلة حياتك!

الحكاية الثامنة والثلاثون

قهوة عبد العال

علي قمة الشارع، وبجوار عم كامل بتاع البيض تقع أهم وأشهر قهوة في كامب شيزار: قهوة عبد العال.وهي عبارة عن محل صغير، لا تتجاوز مساحته ثمانية أمتار تصطف على جانبيه بضعة مقاعد خشبية متهالكة، وفي صدر القهوة توجد نصبة ورمّالة، وبجوارها مبولة وعليها ستارة متهالكة من أثر مسح الزبائن أيديهم فيها، بالإضافة إلى ما تحملته من رائحة النشادر التي تنهار تحت وطأتها الجبال!

وينتصب أعلى المبولة تلفزيون أبيض وأسود ماركة تليمصر الشهيرة، حيث يلتف حوله الزبائن، لمتابعة الدوري المصري ومباريات غزل المحلة، ونسيج حلوان، واسكو، والكروم، حيث لم تكن ثقافة مشاهدة الدوري الإنجليزي، أو الألماني، أو الإيطالي قد تسربت إلى مجتمعنا بعد.

لكن أهم ما يميز قهوة عبد العال هو عبد العال نفسه.فعلي الرغم من أن أنه لم يكن مالك القهوة بل مجرد عامل فيها، إلا أن القهوة ظلت تحمل اسمه إلى أن مات.

بل إن حياتها قد انتهت بحياته، فلم تقم لها قائمة حتى الآن.

ولا يتذكر أحد من أبناء شارعنا أنه قد رأى عبد العال في شبابه، فلقد شببنا وشيبنا وهو عجوز في ظاهرة تماثل ظاهرة الفنان عبد الوارث عسر.

فهو طويل القامة، نحيف، أسمر اللون، مبحوح الصوت واهنه

حتى أنك لا تكاد أن تميز ما يقول، يمشي وكأنه قد التصق بالأرض بمغناطيس، لا يكل ولا يمل ويعمل طيلة النهار دون سأم.

كانت قهوة عبد العال تُمثل لنا علامة من علامات الرجولة، فما كدنا نلتحق بالجامعة حتى كان أول قرار اتخذناه أن تكون قهوة عبد العال هي المقر الرسمي لنا، لكن سرعان ما هجرناها إلى مقاهٍ أخرى أكثر تطورًا وحداثة.

كان أهم ما يميز قهوة عبد العال كونها مقرًا لسائقي التاكسي فيتجمعون بها وقت الظهيرة؛ ليرتاحوا من وعثاء الطريق، وليتناولوا بعض الطعام.

ومما لا ينمحي من ذاكرتي يوم اغتيال السادات، حيث كنا نتابع العرض العسكري، وفجأة انقطع البث التلفزيوني، وظلت الناس في حالة تخبط إلى أن أُذيع رسميًا نبأ وفاة الرئيس، وكنت في الشارع وقتها وسألت أحد السائقين ممن اعتادوا على الجلوس على القهوة وكان فظًا غليظ اللسان: هو مات؟

فرد على بلفظ قبيح، لا أدري، لماذا؟

ويوم ٦ أكتوبر ٢٠٢٠ بعد ٣٩ سنة من تلك الحادثة قابلته في سوق شيديا، حيث استوقفني وهو لا يتذكرني طالبًا مني المساعدة!

وتلك الأيام نداولها بين الناس.

الحكاية التاسعة والثلاثون

محل البن... بتاعنا

جـدي كان يمتلـك محـل (بُـن) في سـوق شـيديا، ولمـا كان والـدي وعمـي رحمـة اللـه عليهـما مـن خريجـي الجامعـة وشـق كل منهـما طريقـه نحـو الوظيفـة الحكوميـة وبالتـالي كان الـدكان مـن نصيـب أحـد العاملـين بـه، يقـوم عـلى شـئونه ويتـولي شراء حبـوب الـبن وطحنهـا في الطاحونـة النحاسـية العملاقـة التـي تحتـل ثلـث المـكان وتـدور بـتروس عتيقـة، وتحصيـل الإيـراد، ثـم يتـولى والـدي محاسـبته وإعطـاءه أجـره.

ولمـا مـات والـدي وكنـا صغـار، فقـد اسـتمر الوضـع عـلى مـا هـو عليـه، واسـتمر الرجـل في تحمـل مسـؤولية الـدكان كاملـة.

ثـم بعـد وفاتـه انتظـم ابنـه في العمـل واتبـع منهـج والـده لفـترة، مـا لبـث بعدهـا أن بـدأ يسـتأثر بالإيـراد تمامًـا ويكتفـي بجنيهـات قليلـة يمنحهـا إلى عمتـي، وإذا مـا حـدث ورغبنـا في الحصـول عـلى بعـض الـبُن، أذهـب إليـه وأقـول لـه: عايزيـن شـوية بُـن يـا أشرف.

فيقـوم إلى المطحنـة متكاسـلًا وكأني أطلـب منـه أن يُعـيرني أحـد أبنائـه، ويمـلأ قرطاسًـا صغـيرًا ويضعـه عـلى الميـزان؛ ليتأكـد أنـه لم يتجـاوز (ثُمـن) كيلـو جـرام، ثـم يمنحنـي إيـاه ولسـان حالـه يقـول مـا أشـوفش وشـك قبـل الشـهر الجـاي!

وعلي الرغم من أننا كنا نتعلم في المدارس الحكومية، كان أبناؤه قد التحقوا بمدارس أجنبية، واستبدل سيارة خاصة بالمواصلات العامة، وانتقل إلى السكن في حيّ راق، ثم ما لبث أن ترك مصر كلها واستقر في الخليج، ولم ينس أن يترك مفاتيح الدكان إلى عمتي!

ظل الدكان مهجورًا، وظلت عمتي تواظب على سداد الإيجار إلى المُلّاك الذين تبدلوا جيلًا بعد جيل، والدكان مغلق مع رفض عمتي لأن يستغله أحد من الأحفاد خوفًا على الدكان من الضياع! وعلى الرغم من ذلك فقد وافقت بكل بساطه على أن تمنح الدكان للباعة الجائلين لكي يقوموا بتخزين بضائعهم فيه مساء كل يوم!

إلي أن اشتري المكان بالكامل مشترٍ جديد، واتفق مع مالكي الدكاكين المجاورة على هدم العقار بالكامل، ومنحهم دكاكين جديدة في المبني الجديد.

ولما كان باعة السوق لا يعلمون سوي أن مالكة دكان البن هي العمة العجوز، فقد خططوا لكي يستأثروا بهذه الغنيمة السهلة.

إلا أنهم فوجئوا صباح يوم بالمالك الجديد يدخل إلى الدكان وأنا بصحبته لكي أسلمه الدكان، ووسط دهشتهم عمن أكون أنا، وما هي علاقتي بالدكان، قام المالك الجديد بتغيير الأقفال، وألقى بجميع البضائع المخزنة إلى الخارج، وأعلن حيازته للمكان.والتفت إلى الطاحونة النحاسية العملاقة لكي أبيعها، فإذا بها قد تحولت أثرًا بعد عين، ولم يبق منها سوى أدراج خشبية قد نخرها السوس.

الحكاية الأربعون

كيف تحصل على سيارة فورًا!

في بداية حياتي العملية، كان معايا مبلغ من المال، وقررت إني أطلع عمرة وقدمت للتأشيرة واتأخرت شوية، وفي الوقت ده الشيطان قعد يلعب في دماغي ويقولي إنت عملت اللي عليك وقدمت على العمرة والتأشيرة اتاخرت، اسحب فلوسك واشتري عربية.كان أقصي طموحي إني أجيب عربية ١٢٨ أو حاجة زيها.طبعًا الكلام ده من أكتر من عشرين سنة، المهم ربنا أكرمني والتأشيرة جت وطلعت العمرة، وفي أحد الأيام في الفترة ما بين صلاتي المغرب والعشاء وكنت أقضيها في الكعبة، وقفت أمام الكعبة ورفعت إيدي وقلت ثلاث كلمات فقط:

يارب عايز عربية.بعد عودتي من العمرة مباشرة استدعاني صاحب العمل، وسألني: انت إزاي ما عندكش عربية لغاية دلوقتي؟

قلت له: معيش فلوس!

قال لي: طبيعة عملك تستلزم أن يكون معاك عربية وقرر يعطيني قرضًا حسنًا يخصم من الراتب علشان أجيب عربية!

وبعد ما كان أقصي طموحي إني أجيب عربية فيات مستعملة ربنا رزقني بعربية أوبل!

أحد التابعين (سيدنا عروة بن الزبير) دخل المسجد في يوم لقي

واحـدًا يصـلي بسرعـة فسـأله:

يابن أخي أليس لك عند ربك حاجة؟

فالراجل اندهش وقاله: ليه؟

قاله سيدنا عروة: إني أسأل ربي ملح طعامي!

يعني لو عايز ملح للطعام وهو أقل شيء بيطلبه من ربنا.

سـيدنا النبـي لـه حديـث بيقـول فيـه: اسـتعظموا في الحاجـات، وإذا سـألت اللـه الجنـة فاسـأله الفـردوس الأعـلى، يعنـي ربنـا سـبحانه وتعـالى لا يعجـزه شيء في الأرض ولا في السـماء، اطلـب منـه مـا تريـد، وثـق أنـه قـادر أن يعطيـك كل مـا تطلـب وأكـثر.

سـيدنا سـليمان عليـه السـلام كان بيحـب الخيـل جـدًا ويقتنـي منهـا عـددًا كبـيرًا، وفي يـوم أخـذ يتفقـد خيولـه حتـى سرقـه الوقـت، ولم يلحـق الصـلاة، وأحـس أنـه أذنـب ذنبًـا كبـيرًا.

عمل إيه؟

دعـا ربـه أن يغفـر لـه... وبعديـن الغريبـة إنـه مـش بـس طلـب المغفـرة، لا، طلـب مـن ربنـا أن يمنحـه ملـكا لا ينبغـي لأحـد مـن بعـده، (قَـالَ رَبِّ اغْفِـرْ لِي وَهَـبْ لِي مُلْـكًا لَّا يَنبَغِـي لِأَحَـدٍ مِّـن بَعْـدِيۖ إِنَّـكَ أَنـتَ الْوَهَّـابُ) يعنـي لم يتحـرج أن يطلـب مـن ربنـا طلبًـا كبـيرًا جـدًا وهـو لسـه حاسـس بالتقصـير؛ لأنـه واثـق إن ربنـا -سـبحانه وتعـالي- أكـرم الأكرمـين، ربنـا اسـتجاب، وسـخر لـه الريـح والشـياطين، وفهمـه لغـة الطـير والحيوانـات.

ربنـا -سـبحانه- قـادر يعطيـك كل مـا تطلـب أنـت وأهـل الأرض

جميعًا دون أن ينقص ذلك من ملكه شيئًا، فادعه وأنت واثق من الإجابة.

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: إن الله حيّيٌ كريم، يستحي أن يرفع العبد يده ويسأله حاجة ويردنا صفرًا خائبين.

انتهز كل فرصة، وتحرَّ أوقات إجابة الدعاء، عند المغرب، وعند الفجر، وأثناء الصيام، وادع ربك وأنت واثق، من الإجابة.

الخاتمة

لا أدري، هل كنت أستعرض أحياء الإسكندرية؟

أم شوارع كامب شيزار؟

أم أسترجع ذكرياتي؟

أم أتذكر الأحباب والأصدقاء؟

ولكننا بالفعل قد رأينا وعايشنا أجمل ما في الإسكندرية، وأجمل من عاشوا فيها، وأحببناهم وأحببناها، لدرجة أننا لا نستطيع أن نستمتع بما نحن فيه الآن، والذي قد يكون أفضل مما عايشناه في نظر البعض، ويمثل مادة لذكرياتهم كما كانت الإسكندرية قديمًا مادة ذكرياتنا.

ولكنها سنن الله في الكون.

ولأن ذكرياتنا السعيدة إذا تذكرناها... نحزن.

الفهرس

الحكاية الأولي الأميرة ديانا في سوق شيديا	٨
الحكاية الثانية المتشرودن الصغار	١٠
الحكاية الثالثة بعشرة صاغ بيض مشروخ	١٤
الحكايةالرابعة فيه شاخورة في الجامعياااااااة	١٦
الحكاية الخامسة الله يرحم، وسعد حرب لا يرحم	٢١
الحكاية السادسة عندما كان طموحي أن أكون مهندسًا فاسدًا!	٢٣
الحكاية السابعة نور الإسلام	٢٦
الحكاية الثامنة نظرية سامي	٢٩
الحكاية التاسعة محمود المليجي بكسرولة الفول	٣١
الحكاية العاشرةعربية مقابل مليم أحمر!!!	٣٣
الحكاية الحادية عشر وليمة بـ ٢ جنيه ونص!	٣٦
الحكاية الثانية عشر السنجة وقعت	٣٨
الحكاية الثالثة عشر كيف تتغلب على البلطجي في خطوة واحدة؟!	٤٠
الحكاية الرابعة عشر البحر للجميع	٤٢
الحكاية الخامسة عشر استراحة قصيرة لحين توزيع البسطا!	٤٥
الحكاية السادسة عشر ودي كانت نهاية فرقة شارع كانوب المسرحية!	٤٧
الحكاية السابعة عشر بنلم فلوس عشان زينة رمضان	٥١
الحكاية الثامنة عشر الإقطاعيون الصغار	٥٥
الحكاية التاسعة عشر عبده النحوي، وعبده دولار	٥٧

الحكاية العشرون كما تدين... تُدان ٥٩
الحكاية الحادية والعشرون لو اتأخرت أنا عارف بيت أمك! ٦١
حكاية الثانية والعشرون إطلاق النار على من يلعبون الكرة. ٦٣
الحكاية الثالثة والعشرون بطيخ بالحشيش! ٦٧
الحكاية الرابعة والعشرون بوسي: هات سيجارة ٦٩
الحكاية الخامسة والعشرون البرتقال والنبلة! ٧١
الحكاية السادسة والعشرون إنتي واخد فُرن! ٧٣
الحكاية السابعة والعشرون كومباوند كفر الدوار ٧٧
الحكاية الثامنة والعشرون قبل ما العرب يتودْكوا ٨٠
الحكاية التاسعة والعشرون مشاهدة المسلسل عند سفح الأهرام. ٨٣
الحكاية الثلاثون أمورة ٨٥
الحكاية الواحدة والثلاثون موريس بتاع الكتب ٨٨
الحكاية الثانية والثلاثون ما لن تكتشفه مباحث المصنفات ٩١
الحكاية الثالثة والثلاثون العائلة التي يطاردها (الحظ) ٩٤
الحكاية الرابعة والثلاثون بـ ٣ جنيه بنزين... واتوصى! ٩٦
الحكاية الخامسة والثلاثون احتفالية يوم الخميس ٩٨
الحكاية السادسة والثلاثون عبد الله النديم ١٠٠
الحكاية السابعة والثلاثون الراعي الرسمي لحصة الألعاب ١٠٢
الحكاية الثامنة والثلاثون قهوة عبد العال ١٠٤
الحكاية التاسعة والثلاثون محل البن... بتاعنا ١٠٦

الحكاية الأربعون كيف تحصل على سيارة فورًا! ١٠٨
الخاتمة ١١١
المراجع ١١٢